تبصير المسلمين لغيرهم بالإسلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعد :

فإن هذا البحث الحيوي والحساس في الوقت الحاضر يتطلب من كل مسلم معرفة نواحيه العديدة ، لأن من أصول شرعنا تبليغ الدعوة الإسلامية إلى جميع أبناء العالم ، شرقه وغربه ، شماله وجنوبه ، ولأن الإسلام دين الفطرة والحرية والتوحيد ، وينبع احترامه من تطلعات العالم المتيقظ إلى وجود المنقذ من مشكلات الدنيا ومنحها وأوضاعها المتردية ، والبحث عن الحقيقة ، والتطلع إلى السعادة ، والظفر بعالم الخلود وإشاعة المحبة والخير والثقة والاطمئنان بين الناس .

وللدعوة ولا سيما في عصرنا ظروف معقدة ومصاعب جمّة ، ينبغي ملاحظتها ومعرفة طريق تجاوزها ، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة خصائص الدعوة الإسلامية ، واتخاذ الأسلوب المعاصر المستمد من القرآن والسيرة والسنة النبوية ، والعمل على إيجاد الداعية الناجح . ومن أهم عوامل النجاح : أن يكون الداعي إلى الله تعالى قدوة حسنة ، مؤمناً مخلصاً متفاعلاً بما يقول أو يدعو إليه .

وما أجمل عمل الداعية إن وفق في دعوته ، فينال رضوان الله تعالى ، كما جاء في الكتاب العزيز : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٣٣] فليهنأ هذا الداعي بهذه البشارة ، وليعمل بقدر المستطاع في تبليغ حقائق الدين الخالد القائم على التوحيد والحق والحب والجهاد والفضيلة ، والله مع الحسنين .

يشتمل البحث على أربعة مطالب هي :

المطلب الأول

منطلقات التبصير بالإسلام أو أسبابه العامة

- ينبغي قبل البدء في الكلام عن هذا البحث بيان موضوعين أساسيين هما منطلق البحث وقاعدته الجذرية التي يفهم منها تصور الحقيقة والحكمة التشريعية لتبليغ الدعوة الإسلامية إلى العالم ، أو تبصير غير المسلمين بالإسلام ، والموضوعان ما يأتي :

الأول ـ خصائص الدعوة الإسلامية وطبيعتها الذاتية المتميزة .

الثاني ـ مدى الحاجة إلى التبصير بالإسلام .

وكل من هذين الموضوعين متشعب الجوانب متعدد الآفاق ، لكني أقتصر على توضيح ما له صلة ماسة بالبحث ، وما هو جدير بالإشارة إليه في التصور الإسلامي لأحكام الشريعة .

الموضوع الأول

خصائص الدعوة الإسلامية وطبيعتها الذاتية المتميزة

- إن مفهوم الحركية والديمومة في الإسلام وخلود الشريعة الإسلامية ، وضرورة انتشارها في العالم ، يقضي ببيان ما للإسلام في هذا المجال من طبيعة أو خصائص تميزه عن غيره من الأديان ، وهي أربعة :

١ـ الإسلام دين الفطرة والحرية .

٢ـ الإسلام خاتم الرسالات السماوية .

٣ـ الإسلام دين عالمي أو دين ذو نزعة عالمية .

٤ـ الإسلام دين دعوة أو دين إيجابي .

وأبين بإيجاز معنى كل خصيصة ودليلها الشرعي ، لارتكاز موضوع البحث على كل واحدة منها ، وتفاعله مع مقتضاها .

١ـ الإسلام دين الفطرة والحرية :

ـ جاء الإسلام منسجماً مع بساطة طبع العربي ، ونقاء بيئته ، وتعشقه للحرية والانتقال في الأرض دون قيود ولا حدود ولا سدود ، فلا تعقيد ولا التواء ولا ازدواجية ، وإنما دأبه ومنهجه في الحياة الصراحة والوضوح ، وطبعه الإباء والنفور من الذل والعبودية .

وهكذا كان الإسلام الذي قام على مبدأ التوحيد المنسجم مع الفطرة الإنسانية ، فهو دين الفطرة ، والفطرة تقوم على توحيد الله ، وأن الإنسان بالشعور الذاتي المستقر في خلْقه ، يدرك أن « لا إله إلا الله » .

كذلك عزَّز الإسلام في النفوس معنى الشعور بالذات ، القائم على التواضع لله تعالىٰ والاعتزاز به ، فقال عز وجل : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون : ٨] .

ـ وأمر الله نبيه محمداً ﷺ بأن يسدِّد وجهه ، ويستمر على الدين الذي شرعه الله له من الحنيفية السمحة : ملة إبراهيم عليه السلام التي هداه الله لها وعرَّفه إياها ، وأن يلازم فطرته السليمة التي فطر الله الخلْق عليها ، فإنه تعالىٰ فطر (أي خلق) خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره ، فقال سبحانه : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم : ٣٠] . ومعنى قوله : ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ أي لدين الله ، خلُق

الأولين ، ودين السابقين ، والدين والفطرة : الإسلام والتوحيد . والأمة في هذا قطعاً على منهج نبيها وطبيعة رسولها .

وقد أوضحت آية أخرى مقتضى الفطرة السليمة التي ألزم الله بها نبيه والناس معه ، وهي قوله تعالىٰ : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

- وجاءت الأحاديث النبوية مؤكدة هذا المفهوم القرآني ، منها الحديث الصحيح : « إني خلقت عبادي حنفاء ، فاجتالتهم الشياطين عن دينهم » ومنها الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال :

قال رسول الله ﷺ : « ما من مولود يولد إلا على الفطرة ، فأبواه يهوِّدانه أو ينصرانه أو يمجِّسانه ، كما تُنتَج البهيمة بهيمة جمْعاء ، هل تحسون فيها من جَدعاء » أي كما تولد البهيمة سليمة الأعضاء ، ليست مقطوعة الأذن أو الأنف مثلاً .

- والحرية المنظمة التي لا تصادم الأعراف السليمة ، والأنظمة الصالحة ، تلازم الفطرة ، وتتعايش معها ، وتسير في ركابها . والإسلام الذي احتضن الحرية بمعناها الصحيح ينشد تمكين الأفراد من ممارسة حرياتهم الفكرية والدينية ، ويحرر المستضعفين من ظلم المستكبرين ، وعتو الطغاة المتجبرين الذين يريدون إبقاء الشعوب ترزح تحت المفاهيم والتقاليد الموروثة البالية ، خدمة لتسلطهم وبسط نفوذهم ، فيقاومون دائماً صحوة الفكر والعلم والمعرفة .

- ويكون منطلق الإسلام في حواره مع أتباع الأديان الأخرى هو الاعتماد على مقتضيات الفطرة ، ونقطة الوفاق في أصل العقيدة ، كما قال الله تعالىٰ : ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا

نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤] . وقال عز وجل : ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾

[آل عمران : ٢٠] .

ـ ومن ثَمَّ يرفض الإسلام فكرة الإكراه على الدين ، والإلجاء والقسر على تغيير المعتَقد دون قناعة فكرية ، واطمئنان قلبي ، وقبول عقلي واعٍ لا أثر فيه للضغوط والإرهاب ، وإنما الحكم للحجة والبرهان ، والإقناع بصحة الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده ، وطاعة أوامره ، واحترام شريعته ونظامه ، فقال الله تعالىٰ : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

ـ وتواردت الآيات الأخرى مؤيدة هذا المبدأ ، نابذة في مجال السلوك الفعلي وحال الحماس ، أو التأثر بالانفعالات والعواطف النفسية اللجوء إلى الجبر والإكراه على تغيير المعتَقدات ، لأن تعدُّد العقائد منوط بالإرادة الإلهية ، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ [هود : ١١٨] . وقال سبحانه : ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٩٩] .

ـ ويكون الإيمان بعقيدة الإسلام رهناً بمحض الاختيار والإرادة الحرة ، وإلا كان هدراً ، بل سرعان ما يزول من النفس بمجرد زوال ظرف الإلجاء والإكراه ، ولاشك في أن المعول عليه عقلاً وخبرة هو الدائم الباقي ، لا الظاهر المؤقت القائم على مجرد النطق باللسان أو المجاملة .

لذا لم يثبت في تاريخ الإسلام أن المسلمين أفراداً وجماعات ، سلماً أو حرباً ، أكرهوا أحداً على الدخول في الإسلام ، وإنما كانت مهمة نبي الله ومن بعده أصحابه وأتباعه إلى العصر الراهن هي الإنذار والتبشير ، والتبليغ والتحذير ، والبيان والتوضيح ، والمحاجة والنقاش الهادئ المعتمد على قناعة العقل بسلامة المبدأ والاعتقاد ، ويكفينا الاستدلال على ذلك قوله تعالىٰ مخاطباً رسوله : ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ﴾ [الشورى : ٤٨] . ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [الغاشية : ٢٢] . ﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر : ٢٣] .

- ويوضح هذه العلاقة من الناحية الواقعة وجود التعايش الديني بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب (اليهود والنصارى) وأتباع الأديان الأخرى في وطن واحد تحت مظلة الإسلام وسلطان المسلمين ، فلقد أقر القرآن الكريم إبقاء هؤلاء على دينهم ، وكان طابع التسامح معهم هو الظاهرة المتميزة عبر أدوار التاريخ المتلاحقة ، لكن من غير دعوة إلى وحدة الأديان ، لأن الإسلام هو دين الله الذي قبله وارتضاه لعباده .

٢- الإسلام خاتم الرسالات السماوية :

- ختمت الرسالات الإلهية بالإسلام ، والدين دين الله وشرعه ، فما ارتضاه لعباده وجب اتباعه ، وما نسخه أو ألغاه لانتهاء صلاحيته وانتهاء فاعليته ، وجب هجره ونسيانه وتركه ، سواء بقيت تلك الرسالات في صورتها الصحيحة التي نزلت على أنبيائها أم بدِّلت وغيرت ، أو فقدت وضاعت ، ولقد ضاعت التوراة ذاتها باعتراف اليهود ، وكتبت الأناجيل المتعددة بعد وفاة السيد المسيح عليه السلام بقرن فأكثر ، ويعترف المسيحيون أن الأناجيل الأربعة المعترف بها لديهم ليست هي الإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام .

وكل ما لدى أهل الكتاب هو مجرد أقاصيص وحكايات وأساطير ، وتدوين سيرة حياة موسى وعيسى عليهما السلام ، وبيان بعض مواقفهما مع الناس أثناء دعوتهما لما جاءا به ، ولكن مع وجود بعض الأحكام الشرعية الثابتة كما نزلت ، كالوصايا العشر : لا تزن ، لا تسرق ، إلخ .

ـ وجاء القرآن الكريم مصدقاً في أصول العقيدة الصحيحة والثوابت غير المتغيرة تلك الكتب السماوية السابقة ومهيمناً عليها ، قال الله تعالىٰ : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة : ٤٨] .

ثم أعلن القرآن صراحة ما يقبله ديناً لديه ، فقال تعالىٰ : ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران : ١٩] . ونفى القرآن صلاحية غير الإسلام شرعة وديناً عند الله ، فقال تعالىٰ : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

ـ وكانت خصائص الإسلام المتفرعة عن مهمته وهي كونه الدين المقبول عند الله ووجوب نشره في العالم ثلاثاً وهي[١] :

الأولىٰ ـ الآخرية : أي كون الإسلام هو آخر الشرائع الإلهية ، وأن رسوله عليه السلام هو خاتم الرسل ، فليس بعد الإسلام شريعة تنسخه ، ولا رسول جديد ، قال تعالىٰ : ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب : ٤٠] . وما أجمل تلك الصورة التي صوَّر بها النبي ﷺ كيفية ختمه الرسالات في الأحاديث المتواترة ، التي منها : ما أخرجه الإمام أحمد والترمذي عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مثلي في النبيين كمثل رجل بنى داراً ، فأحسنها وأكملها وترك فيها موضع لبنة لم يضعها ، فجعل الناس يطوفون

---

(١) ملتقى الفكر الإسلامي الرابع عشر : ص٢٧٥ في الجزائر عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

بالبنيان ، ويعجبون منه ، ويقولون : لو تم موضع هذه اللبنة؟ فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة » .

ومنها : ما أخرجه أحمد والترمذي أيضاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الرسالة والنبوة قد انقطعت ، فلا رسول بعدي ولا نبي ، فشق ذلك على الناس ، فقال : ولكن المبشرات ، قالوا : يا رسول الله ، وما المبشرات ؟ قال : « رؤيا الرجل المسلم ، وهي جزء من أجزاء النبوة » .

الثانية ـ الخلود ، أي إن الدعوة الإسلامية ليست موقوتة بوقت مستقبل محدود يقف عنده وجوب الدعوة ، ويترك بعده البشر ليدبروا تنظيم حياتهم بأنفسهم ، دون أن يكونوا مكلفين باتباع شريعة الإسلام وتطبيقها ، وذلك على نقيض الديانات السابقة .

الثالثة ـ الشمول التام للنظام القانوني من شريعة الإسلام :

أي إن الأحكام الشرعية وقواعدها التي يتألف منها النظام القانوني في الإسلام هي محيطة بجميع الحوادث الواقعة أو الممكنة الوقوع ، وهي قابلة لأن تستجيب لجميع الاحتياجات التشريعية في كل زمان ومكان ، لما في قواعد الشريعة من عموم ومرونة وتدابير أصلية واستثنائية ، ورعاية لمختلف الظروف ، أي إن الإسلام يشتمل على ثوابت ومتغيرات ، قال تعالىٰ : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام : ٣٨] . وقال سبحانه : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة : ٣] .

٣ـ الإسلام دين عالمي أو دين ذو نزعة عالمية :

ـ إن رسالة الإسلام رسالة عامة للبشرية قاطبة ، فهم جميعاً مطالبون باتباعه والاستجابة لتعاليمه وأحكامه ، لأنه حياة جامعة للناس ، ويدعو

إلى تصحيح العقيدة المنسجمة مع الفطرة ، وتزكية النفس والضمير ، وترقية العقل والفكر ، وإصلاح الحياة من جوانبها المتعددة ، وتدعيم الحضارة والمدنية ، ويتلخص الهدف بما وصف الله به مهمة رسوله ﷺ في قوله : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] . وكانت هذه الرحمة متجلية في جميع نواحي الإسلام الدينية والدنيوية والأخروية ، فهو إنقاذ للفرد والجماعة من الشتات والضياع ، ومنهج للوصول بالإنسان إلى أعلى درجات الكمال والرقي الأخلاقي والحضاري .

ـ وجاءت النصوص الشرعية مقررة بوضوح هذا المبدأ التشريعي الذي يشمل كل عاقل بالغ ، مهما كان جنسه ولونه وبلده ، ذكراً وأنثى ، فقال الله تعالىٰ : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] . وقال سبحانه : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١] . ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [ص : ٨٧] . وقال عز وجل : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سبأ : ٢٨] .

ـ وأبان النبي ﷺ خصوصيات رسالته الخمس ، فقال : « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي ﷺ يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة »[1] . وفي الصحيحين وغيرهما مما ثبت تواتره في الواقع أنه ﷺ بعث كتبه يدعو إلى توحيد الله ملوك الآفاق ، وطوائف بني آدم من عرب وعجم وكتابي ومن يدين بديانات غير سماوية ، امتثالاً لأمر الله له بذلك .

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم والنسائي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح .

ـ وكان الرسول ﷺ يتصدى لوفود الحجاج ، فيعرض عليهم دعوته ويرسل السفراء إلى القبائل يحملون كتباً مختلفة لتبليغ الرسالة ، ويعقد المعاهدات مع الأقوام ليأمن شرهم وعدوانهم ، فقد أرسل كتباً إلى قبيلة بكر بن وائل وبني الجُرمز وبني جُهينة وبني غِفار وأسلم(١) .

وفي سنة ست بعد عمرة الحديبية أرسل الرسول ﷺ كتباً وسفراء ورسلاً إلى رؤساء الدول المجاورة على رأس بعثات سياسية أو دينية ، فأرسل كتاباً إلى قيصر الروم ، وآخر إلى كسرى الفرس ، وثالثاً إلى المقوقس عظيم مصر ، ورابعاً إلى النجاشي ، وخامساً إلى المنذر الغساني في الشام ، ثم إلى غيرهم من الملوك والأمراء ، كالمنذر بن ساوى في البحرين ، وإلى ملوك اليمن وعُمان(٢) .

روى مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كتب قبل موته إلى كسرى وقيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار عنيد يدعوهم إلى الله عز وجل ، وليس النجاشي الذي صلى عليه ؛ لأنه أسلم(٣) .

ـ وكان موضوع هذه الكتب واحداً يتلخص في الدعوة إلى الإسلام ، كما يبدو من النص الآتي :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم .

---

(١) مسند أحمد : ٥/ ٦٨ ، ٤/ ٣١٠ ، طبقات ابن سعد : ١/ ٢٦ ، ٢٨ .

(٢) القسطلاني شرح البخاري : ٥/ ١٠٦ ، ٦/ ٤٤٨ ، شرح مسلم : ١٢/ ١١٢ ، السيرة الحلبية : ٣/ ٢٧٢ـ٢٨٠ ، تاريخ الطبري : ٣/ ١٠٢ ، فتوح مصر للبلاذري : ص٤٢ .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير : ٤/ ٢٦٢ .

سلام على من اتبع الهدى . أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين ، أي الشعب .

ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون[١] .

وعُثر على بعض هذه الكتب في وثائق تاريخية ثابتة ، مثل كتاب النبي ﷺ إلى المقوقس ، وجده المستشرق الفرنسي « بارتيلمي » في كنيسة قرب أخميم في مصر ، وكتاب النبي ﷺ إلى المنذر بن ساوى ، نشر المستشرق الألماني « فلايشر » صورته ، وكتاب النبي ﷺ إلى النجاشي الذي نشره الأستاذ دنلوب الإنكليزي[٢] . وكان من أثر هذه الكتب أن أسلم سائر الملوك الذين أرسل إليهم ، حاشا قيصر ، والمقوقس ، وهوذة ملك اليمامة ، وكسرى ، والحارث الغساني ، والنجاشي وهو غير الذي هاجر إليه أصحاب رسول الله ﷺ[٣] .

واستمرت الدعوة إلى الإسلام في عصر الخلفاء الراشدين والعهدين الأموي والعباسي ، وعهد الفاطميين ، وعهد الأتراك ، وفي العصر الحديث ، سواء في آسيا أو أوربة أو إفريقية[٤] .

ـ لذا خاطب القرآن في كثير من آياته البشر بكلمة الناس أو بني آدم دون تمييز بين جنس وآخر ، وفئة وأخرى ، فقال الله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

(١) العيني على البخاري : ١٤/ ٢١٠ ، شرح مسلم : ١٣/ ١٠٧ .
(٢) مقدمة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله الحيدر أبادي .
(٣) جوامع السيرة لابن حزم : ص٣٠ .
(٤) بحث الدكتور خليفة بابكر إلى ملتقى الفكر الإسلامي الرابع عشر في الجزائر .

﴿ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [البقرة : ٢١] . وقال سبحانه : ﴿ ۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأعراف : ٣١] .

وكان أتباع النبي ﷺ في بدء الدعوة متعددي الجنس واللون والسن والنوع والفئة ، كالعربي أبي بكر وعمر ، والحبشي بلال ، والفارسي سلمان ، والرومي صهيب ، والمرأة خديجة ، والصبي علي بن أبي طالب ، والغني عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ، والفقير عمار وأسرته . وتوزع المسلمون المعاصرون في كل أنحاء العالم في القارات المختلفة ، وفي جنسيات متعددة ، وفي الشرق والغرب معاً ، حتى بلغوا الآن ملياراً ونصف مليار مسلم أو أكثر ، ودولهم في منظمة الأمم المتحدة ومنظمة المؤتمر الإسلامي (٥٥) دولة .

ـ وهذا لا يتنافى مع كون رسالة النبي ﷺ موجهة بنحو خاص إلى أقاربه وقبيلته وعشيرته والعرب جميعاً ، ليكونوا نواة دعوته ، وحملة رسالته إلى العالم ، بل وشرفاً لهم ، لذا أمره ربه بقوله : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] . ووصف أثر رسالته الفخرية في العرب بقوله تعالىٰ : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٤] ، أي : إنه لشرف عظيم لك ولقومك العرب ، لنزوله بلغتهم .

٤ـ الإسلام دين دعوة أو دين إيجابي :

ـ إن القرآن الكريم هو كتاب هداية ودعوة قبل أن يكون كتاب أحكام وشريعة ، وإن دعوة الإسلام دعوة إنقاذ للإنسانية ، ورسالة تصحيح ، فهي تدعو العالم إلى التوحيد والحق والخير ، والمحبة والفضيلة الإنسانية ، وتكريم الإنسان ، وهي أيضاً نظام إصلاحي في الإيمان أو العقيدة ، والعبادة ، والاجتماع ، والاقتصاد ، والسياسة ، والمعاملة

المدنية ، ونحوها ، لأن المجتمع الذي يقوم على الإيمان بالله وحده ، والمحبة والحق والعدل والخير ، والأخلاق الفاضلة ، والضمير الحي ، والتكافل والتعاون المثمر ، والعمل الصالح لعمارة الدنيا والآخرة هو مجتمع متحضر مستقر ، يعيش في سلام وأمان واطمئنان .

وأما المجتمع الذي يتنكر لهذه المبادئ ، فهو مجتمع مريض مهدد بالزوال والانقراض ، وإن استمر في ترفٍ فترة من الزمان .

ـ والمسلم يحب الخير لغيره ، سواء في الحاضر الدنيوي أم في المستقبل الأخروي ، فتراه لا يفتأ يدعو الناس إلى ما ينقذهم ويصلح أوضاعهم ، ويؤثر دائماً رؤية العالم في نعيم ورخاء وسلام .

ودليل هذه المحبة والإيجابية : ما حكاه القرآن الكريم عن مؤمن في قرية (هي أنطاكية) جاءها المرسلون فكذبوهم ، فدعاهم إلى الإيمان وأعلن إيمانه بالله أمامهم ، فقتلوه ، ومع ذلك تمنى من كل قلبه إيمانهم بعد قتله ، وهو شأن كل مؤمن بالله ، والقصة في سورة يسَ : ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴾ [يس : ٢٠ـ٢٩] .

وفيها : ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [يس : ٢٦ـ٢٧] . أي ليتهم يعلمون حسن حالي ومآلي فيعملون مثل عملي ، ويؤمنون بالله ربهم ، فيدخلون الجنة معي . وتكرر

هذا من النبي ﷺ ، فإنه بالرغم من شدة إيذاء قريش في الطائف له ، كان يقول : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » ، أو « اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون » .

ومن الأدلة : قول النبي ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »[١] .

والمعنى كما ذكر النووي وغيره من الشراح : لا يتم إيمان المؤمن حتى يحب لأخيه المسلم الخير وتمام الهداية والنجاة ، ويحب لغير المسلم الإيمان والهدى والدخول في الإسلام ، والتخلص من ورطة الكفر والشرك ، فالحديث محمول على عموم الإخوة ، حتى يشمل المسلم وغير المسلم .

ومن هاتيك الأدلة الدالة على التفاني في النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحرص على إنقاذ الآخرين من الهلاك والضياع : حديث صحيح آخر ، وهو : « مثل القائم في حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء ، مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً »[٢] .

---

(١) أخرجه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح .

(٢) أخرجه البخاري والترمذي عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، وهو حديث صحيح .

الموضوع الثاني

مدى الحاجة إلى التبصير بالإسلام

ـ بالرغم من تقدم العالم غير الإسلامي صناعياً وزراعياً وحضارياً ، فإن هناك جوانب نقص كثيرة في تلك الحضارة والمدنية الحديثة ، أهمها الفراغ الروحي ، وتشويه العقيدة ، والإمعان أو الإغراق في المادية ، وهجر القيم الإنسانية على المستوى الشامل ، وإن وجدت بعض القيم المصلحية المقصورة على شعب أو قوم أو جماعة دون آخرين ، ومن هنا تبدو بنحو أجلى مهمة دعاة الإسلام الذين يحبون الخير لأمتهم وللعالم أجمع في التوجيه نحو تصحيح المسيرة ، إذ صلاح آخر الأمة بما صلح به أولها ، كما جاء عن النبي ﷺ .

ـ والفراغ الروحي والظمأ الفطري إلى التدين هما سبب إحداث الهزات النفسية والاجتماعية ، والاضطراب والقلق في العالم غير الإسلامي ، مما أدى إلى كثرة حوادث الانتحار وانتشار الجرائم ، سواء في بيئة الحضارتين الغربية والشرقية ، لأن فقد الأمن والرخاء والطمأنينة النفسية هو مدعاة القلق ، وهو الذي يجعلنا نلمس حاجة العالم الملحة إلى التبصير بالإسلام دين الوسطية ، ورسالة التوازن بين الروح والمادة أو القيم الروحانية والمادية .

وليست الحضارة بالرقي المادي فحسب ، ولا بالترف الذهني ، ولا بمجرد عبور الفضاء والوصول إلى الكواكب البعيدة عن سطح الأرض كالقمر والمريخ وغيرهما ، وإنما تتمثل الحضارة الحقيقية في الرقي الروحي الذي نسمو به إلى الملأ الأعلى ، ونحس بسببه في أعماق نفوسنا

بالسعادة ، مع الرقي المادي الإنساني ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨] . لذا تنبأ كثير من العلماء بانهيار هذه الحضارة المادية البعيدة عن الروح ، وعن إنسانية الإنسان ، فليس الإنسان مجرد آلة ، وليس بالرغيف وحده يحيا الإنسان ، كما قال السيد المسيح عليه السلام .

- وفي إبان ظهور الصحوة الإسلامية دولياً وجماعياً وفردياً في مطلع القرن الخامس عشر الهجري ازدادت العناية بالفعل بعقيدة الإسلام وفكره وشريعته وسرعة انتشاره في العالم المعاصر ، سواء في المعسكر الشرقي أو الغربي . وأجهضت هذه الصحوة أربع مقولات هي : أن الدين أفيون الشعوب ، وأن الإسلام رجعية وتخلف ، وحتمية التبعية والولاء لأحد المعسكرين الرأسمالي أو الاشتراكي ، وحتمية الانتماء العقدي (أو العقائدي) للرأسمالية أو الاشتراكية . ولقد أثبت الفكر الإسلامي المنظم أن الإسلام منهج قوة وعزة ، وأن الإسلام تقدم وثورة وحضارة ، وأن للإسلام منهجاً مستقلاً متوازناً للحياة الاقتصادية والاجتماعية دون حاجة إلى شرق أو غرب ، مما استرعى انتباه العالم إلى مزيد من الدراسة والتحليل للشريعة الإسلامية في مظهريها الساكن والمتحرك .

والخلاصة : إن الإسلام كان وما يزال رسالة إنقاذ الإنسان من ضياعه وضلاله ، ورسالة ترقية الإنسان إلى مدارج الكمال .

* * *

المطلب الثاني

أحكام تبصير المسلمين لغيرهم بالإسلام

ـ يقتضينا العلم بأحكام تبصير العالم برسالة الإسلام أو تبليغ الدعوة الإسلامية إلى أنحاء العالم بيان أمور أربعة : هي وجوب التبصير أو التبليغ ، وبيان الوسائل ، والأهداف ، ومعرفة آفاق الدعوة الإسلامية أو مجال نشرها ، أما الوجوب فهو الحكم بالمعنى الضيق والمتبادر إلى الذهن ، ثم يأتي بعده بيان حكم الوسائل ، والأحكام المستفادة من الأهداف ، والحكم المكاني للدعوة وهو آفاقها .

أولاً ـ وجوب تبصير غير المسلمين بالإسلام :

ـ قبل أن نبصر العالم بالإسلام يجب بداهة أن يكون المسلمون في ديار الإسلام على بصيرة صحيحة بالإسلام ، ووعي تام له ، وإدراك لمعانيه وأحكامه وآدابه ، وأن يكونوا قدوة حسنة فعلية ، وترجماناً صادقاً لصورة الإسلام الصحيحة في الاعتقاد والعبادة والخلق والمعاملة ، حتى لا يقال كما ذكر الشيخ محمد عبده : إن الإسلام غير المسلمين ، لذا كانت قاعدة النبي ﷺ في دعوته كونه ذا بصيرة بها ، فقال الله تعالىٰ : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾

[يوسف : ١٠٨] .

ـ والتبصير بالإسلام أو التبليغ والدعوة إليه : هي دعوة الأنبياء قاطبة ، لقوله تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ

﴿وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الأحزاب : ٧-٨] . فقوله : ﴿أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾ أي عهودهم بتبليغ الرسالة والدعوة إلى الدين القويم[١] .

ـ والتبصير بالإسلام أو التبليغ واجب صراحة على النَّبي ﷺ ، وعلى العلماء وعلى أمته من بعده ، أما وجوبه عليه فواضح من قوله تعالىٰ : ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة : ٦٧] . وقال تعالىٰ مبيناً مهمة نبيه أيضاً : ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام : ١٩] . وقال سبحانه أيضاً : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل : ٤٤] .

وأما أمة النبي ﷺ وعلماؤها بالذات فهم من بعد نبيهم مأمورون بالتبليغ والتبصير ودعوة الناس إلى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، لقول الله تبارك وتعالىٰ في آية العلماء العاملين بكتاب الله بإجماع المفسرين : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فاطر : ٣٢] . والمراد بالكتاب : القرآن الكريم .

ـ ووصف الله أنبياءه وأتباعهم بقيامهم بالتبليغ ، فقال مادحاً لهم : ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب : ٣٩] . أي الذين يبلِّغون رسالات الله إلى خلقه ويؤدونها بأماناتها ، ويخافونه ولا يخافون أحداً سواه ، فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله تعالىٰ[٢] .

ـ لذا أمر النبي ﷺ صحابته ومن يتبعهم بقوله : « بلِّغوا عني ولو

---

(١) تفسير البيضاوي : ص٥٥٣ .

(٢) تفسير ابن كثير : ١٣/ ٤٩٢ .

آية »[١] . وقوله : « نضر الله امرأً سمع منا شيئاً فبلَّغه كما سمعه ، فرب مبلَّغ أوعى من سامع »[٢] . وقوله : « نضر الله امرأً سمع منا حديثاً ، فحفظه حتى يبلِّغه غيره ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه »[٣] . وقوله : « ليبلغ الشاهد الغائب ، رب مبلغ أوعى من سامع »[٤] .

ـ وقيام الأمة بواجب التبليغ شامل كل أفرادها ، فليس في الإسلام طبقة معينة هي طبقة رجال الدين أو « الإكليروس » فعلى كل من علم من الإسلام شيئاً صحيحاً ، وفهمه فهماً سليماً ، وأدرك مراميه وأبعاده وأدلته أن يبلِّغه إلى غيره ، ويكون مسؤولاً عن واجبه بين يدي الله عز وجل ، وقد ورَّث النبي ﷺ العلماء واجب التبليغ ، وتركة العلم ، لا ليحتفظوا به في أنفسهم ، ولكن لينتفعوا به وينفعوا غيرهم ، قال ﷺ : « من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار يوم القيامة »[٥] . وقال في الحديث الصحيح : « وإن العلماء ورثة الأنبياء »[٦] .

وكان رسول الله ﷺ يأمر الوفود التي تفد إليه بتبليغ الإسلام وما سمعوه منه إلى من خلفهم ، وأوجب الرسول ﷺ على كل مسلم أن يتعلم من العلم ما يؤدي به الفرائض التي فرضها الله عليه صحيحة كاملة ، وأن

---

(١) أخرجه أحمد والبخاري والترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وهو صحيح .

(٢) أخرجه أحمد والترمذي وابن حبان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وهو صحيح .

(٣) أخرجه الترمذي والضياء عن زيد بن ثابت رضي الله عنه ، وهو صحيح .

(٤) أخرجه البخاري .

(٥) أخرجه أحمد في مسنده .

(٦) أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، وهو صحيح .

تكون عقيدته أو إيمانه مبنياً على برهان مقبول ودليل معقول ، دون اكتفاء بالميراث أو التقليد ، فقال : « طلب العلم فريضة على كل مسلم »[١] . فهذا واجب عيني .

ـ كذلك جعل الإسلام من فرائض الكفاية على أهل كل محلة أو بلد أن تتعلم طائفة منهم وأن يعودوا لتعليم غيرهم ، فقال تعالىٰ : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٢] .

كما أوجب القرآن تخصيص فئة للدعوة والتبليغ ، مع إبقاء الواجب العام قائماً على كل مسلم ، فقال تعالىٰ : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] . فسَّر ابن كثير الآية بقوله : « أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن ، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه » .

وأوضح الرازي أن « منكم » هنا للتبيين لا للتبعيض ، لدليلين :

الأول ـ إن الله تعالىٰ أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل الأمة في قوله : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

الثاني ـ هو أنه لا مكلف إلا ويجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : إما بيده ، أو بلسانه ، أو بقلبه ، ويجب على كل أحد دفع الضرر عن النفس .

ـ ومما يجب معرفته أن دعوة الناس إلى الإسلام وتبصيرهم به لا يعد

---

(١) أخرجه ابن عدي والبيهقي عن أنس بن مالك ، والطبراني في الأوسط عن ابن عباس ، وهو صحيح .

تدخلاً في شؤون الغير ، ولا مصادرة للحرية التي يتمسك بها الجاهلون والعوام وبعض المثقفين غير الواعين ، لأن الانتماء للإنسانية حق الجميع ، ولأن نظام المجتمع وبناءه على أسس سليمة حق أيضاً لجميع أبنائه ، فيكون النصح والإرشاد والتبصير أمانة في حق العلماء ، وواجباً عليهم ، وحقاً طبيعياً مقدساً لهم ، لذا كان للمصلحين والحكماء وقادة الفكر في نهاية الأمر احترام وتقدير في كل أمة ، ولدى كل الشعوب وإن عورضوا في البداية ، بسبب الآراء السليمة التي يبدونها لإنقاذ الأمة ، وتبيين أوجه الخلل والعيب في مسيرتها ، والتنبيه إلى طرق العلاج لأمراضها ، والتخطيط لمستقبل أفضل ، ولا يقبل من أحد القول بأن مثل هذا التوجه مصادمة للحرية ، لأن الحرية لا تعني الفوضوية أو التحلل من الأنظمة الأخلاقية والاقتصادية والاجتماعية السليمة ، بل ولا من العقيدة الصحيحة منبع كل خير للفرد والجماعة ، ولأن العلماء هم قادة الفكر في الأمة ، للأخذ بيدها إلى أسلم الطرق وأصح المناهج .

ـ لهذا كان الوباء وباء التخلف والانحراف ضاراً بالجميع ، وكان ضرر الشرك والكفر مهدماً بنيان الأمة ، ومدمراً وجودها وحضارتها واستمرار بقائها ، فقال تعالىٰ : ﴿وَاتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال : ٢٥] .

وهكذا يكون قيام المسلم بتبصير غيره بالإسلام أعظم خدمة للإنسان وللإنسانية ، وأكثر نفعاً وتحقيقاً للبشرية من الطعام والشراب ، لأن الغذاء الروحي أحوج للنفس من الغذاء المادي ، ولأن منع الضرر بالدعوة إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له ، وإلى عبادته والإخلاص له يفيد الإنسان نفسه ، ويقيه وغيره شرور التخبط في ظلمات الكفر والضلالة ، ويرشده إلى الطريق الأقوم والمنهج الأسلم .

ـ ومنشأ كل ذلك كما تقدم هو محبة المسلم الخير للناس جميعاً ، قال

رسول الله ﷺ : « خير الناس أنفعهم للناس »[١] . وقال أيضاً : « الخلق كلهم عيال الله ، فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله »[٢] . أي بالهداية إلى الله تعالىٰ ، وتعليم ما يصلحهم ، وقضاء حوائجهم . وكان من أثر ذلك أن أصبح كل مسلم داعية إلى دين الله في الماضي والحاضر ، وفي مختلف بقاع العالم في آسيا وإفريقية وأوربة ، بدليل انتشار الإسلام في جنوب شرقي آسيا وفي القارة الإفريقية ، وفي أمريكا ، وأوربة ، بالدعوة السلمية ، وبالنقاش الهادئ ، والجدل الحر القائم على الإقناع العقلي والاطمئنان النفسي . ولا يكاد يمضي شهر إلا ونقرأ في الصحف والمجلات إعلان الإسلام والدخول فيه بين الرجال والنساء في البلاد الإسلامية وغيرها ، حتى إنه في بريطانيا دخل في الإسلام سبعة وسبعون ألفاً ما بين عامي ٢٠٠١ـ ٢٠٠٤م كما أعلنت صحيفة « الجارديان البريطانية » .

والخلاصة : إن المصلحة العامة العليا للمجتمع ، والخير والنفع العام المشترك ، ومصلحة الإنسان نفسه تقضي بضرورة إرشاده وهدايته وتبصيره برسالة السماء الأخيرة التي لم يبق للبشرية ميراث صحيح من هدي الإله غيرها ، قال الله تعالى مادحاً الداعي إلى الله وطاعته : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت : ٣٣] . قال الحسن البصري : هذه الآية عامة في كل من دعا إلى الله .

ثانياً ـ وسائل التبصير بالإسلام أو وسائل الإعلام :

ـ تعتمد وسائل التبصير بالإسلام أو وسائل الدعوة والإعلام على ذكاء المبصر أو الداعية وكياسته ولباقته ، وحسن الاستفادة من التجارب ،

---

(١) أخرجه الدارقطني والضياء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح .

(٢) أخرجه أبو يعلى والبزار عن أنس ، والطبراني عن ابن مسعود ، إلا أنه بتقدير السيوطي ضعيف .

وكيفية التخلص من المآزق ، كما تعتمد على دراسة البيئة وطبيعة كل بلد وشعبه ، ومعرفة تاريخه ووسائل نجاح الدعوة في الماضي ، وتصوراتها في المستقبل ، والاعتماد بقدر الإمكان على أبناء البلد ، فإن الناس أقرب إلى الاستجابة لأبناء جنسهم ولغتهم ومعاصريهم . كما تختلف الدعوة بين أهل الكتاب في آسيا وأوربة وأمريكا وإفريقية ، وبين الوثنيين والملحدين والعلمانيين والماديين في إفريقية واليابان والهند وروسيا والصين وغيرها ، فالذين تسيطر عليهم المادة يركَّز فيهم مثلاً على الجانب الروحي في الإسلام ، والذين أضناهم الفقر والجوع يركَّز لهم على حل مشكلة الفقر وعلاجها في الإسلام .

ـ وهناك وسائل موضوعية يعتمد عليها غالباً في كل البلاد ، وأحياناً يمكن إهمال بعضها بحسب غنى الشعب ورفاه الفرد .

وأهم هذه الوسائل ما يأتي :

١ـ الاتصالات الفردية سراً في مبدأ الأمر : فقد كانت دعوة النبي ﷺ في مكة في بضع سنوات قبل إسلام عمر سرية ، فآمن برسالته أفراد معدودون ، كانوا نواة قاعدة الإسلام ، ثم أمره ربه بالجهر بالدعوة بقوله : ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر : ٩٤] .

وسرية الدعوة مفيدة الآن في عصر التنظيم الدولي الإقليمي الحديث حيث يرى الداعية مدى ردود الفعل لدى الشعب ولدى حكومته ، وحينئذ يستمر في منهجه ، أو يتكيف مع الواقع أو يغير الأسلوب .

٢ـ الحلقات الجماعية : إذا قوي انتشار الدعوة وكثر مؤيدوها ، فيمكن عقد اجتماعات دورية منظمة أسبوعياً مرة أو مرتين ، لترسيخ أصول دعوة الإسلام في نفوسهم ، ومضاعفة الحماس لها ، والدفاع عن معتقداتها وتشريعاتها ، والمثابرة على صلة الفرد المسلم بالمعلم أو

الداعية ، للرد على الشبهات والانتقادات التي يثيرها هو أو غيره ، وللانتقال من النظرية إلى التطبيق بممارسة العبادات والشعائر ، ثم تعلُّم بقية أحكام الإسلام ، ثم تحوُّل كل مسلم منهم إلى داعية يدعو زوجته وأولاده ، وأصوله وأقاربه وجيرانه ثم مجتمعه إلى الدخول في الإسلام : رسالة الحق والخير ، والمحبة والتوحيد والفضيلة .

٣ـ الحوار الهادئ والنقاش الحر والجدل المنطقي مع قادة الفكر الديني في كل بلد : وهذا أمر طبيعي يحدث عقب انتشار الإسلام في كل موقع وبلد ، إذ يبرز هناك نوع من التصادم الفكري ، والتأثر بالعصبيات والتقاليد الموروثة ، وهذا شيء ليس باليسير ، لأن في نزع الناس عن عاداتهم وتخليصهم منها صعوبة كبيرة ، وحرجاً عظيماً ، ومشقة شديدة . ويمكن حسم هذه المصادمات بإعلان حوار علني يحضره جمهور من الناس ، وتدور المناقشات حينئذ بين الداعية المسلم وبين أنصار الدين القائم أو فلاسفة الفكر المادي الملحد .

ولنا بالأنبياء قدوة حسنة يمكن الاستفادة مما حكى القرآن من قصصهم مع أقوامهم ، كنوح وإبراهيم ، وهود ، وصالح ، ويوسف ، وموسى وعيسى عليهم السلام .

٤ـ المحاضرات العامة والندوات : يحسن عند الإمكان إلقاء بعض المحاضرات العامة والندوات الموجهة المتخصصة في موضوع ما ، أو الشاملة لمعطيات الإسلام بحسب الأحوال والظروف ، فإن عقلية الجيل المعاصر تتقبل هذا الأسلوب ، ويثير الحاضرون السامعون عقب المحاضرة عادة بعض الشبهات ، ويوجهون أسئلة معينة تتعلق بموضوع المحاضرة أو غيره ، وعلى المحاضر الكفء أن يكون مستعداً فكرياً ونفسياً للإجابة عنها ، مستخدماً الأسلوب اللطيف ، والخطاب الرقيق ،

والحكمة البالغة ، دون تجريح ولا سب ولا شتم ، ولا غضب ولا انفعال .

٥ـ **أجهزة الإعلام الحديثة** : إذا تمكن الداعية المسلم من النفاذ إلى قلب أجهزة الإعلام الحديثة ، بادر إليها ، سواء الصحف اليومية ، أو المجلات والنشرات الدورية ، أو الإذاعة المرئية (الرائي ـ التلفاز) والمسموعة (المذياع) بل والأنترنيت الآن ، فكل هذه الأجهزة مهمة جداً ، ومؤثرة في السامعين ، ومفيدة في نشر الدعوة ، لأننا نلاحظ أن ما يبث عن طريقها يتقبله الناس ويفهمونه ، ويتناقلونه ويرددونه فيما بينهم .

٦ـ **الوعظ والإرشاد في المساجد في خطبة الجمعة والعيدين** : لقد اعتمد الإسلام على مدى التاريخ على هذا الأسلوب لتذكير الناس ، وحمايتهم من الانحراف ، والحفاظ على بنية المجتمع الديني من الانحلال والانهيار .

ويكون للخطيب الناجح تأثير كبير واضح في أسماع الجمهور ، وربطهم بالمسجد ، وتآزرهم وتعاونهم مع بعضهم بعض في القضايا العامة والخاصة ، كما أن منبر المسجد له احترامه والثقة برجاله ، وبه يتمكن الخطيب من تفنيد الشبهات وإحباط التيارات التي تهدد العقيدة الإسلامية ، وقيم أخلاق المسلمين .

٧ـ **توزيع الكتب والرسائل الصغيرة والبحوث** : إن السماع لا يبقى أثره في النفوس ما لم يكن مدعوماً بالقراءة والمدونات المكتوبة ، فلا بد حينئذ من رفد كل داعية في البلاد المختلفة بطائفة من الرسائل الصغيرة ، والكتب المتوسطة الحجم التي تعرض الإسلام في عقيدته ، وأخلاقه ،

وعباداته ، وقيمه ومبادئه ، وأحكام شريعته ، بأسلوب واضح مبسط ، وبلغة سهلة الفهم ، ليست عسيرة على إدراك متوسطي الثقافة والمعرفة . كما لابد أيضاً من وجود كتب ذات مستوى ثقافي أعلى ، تعرض النظريات الإسلامية ، ونظام الإسلام في العقيدة والعبادة والمعاملات والاجتماع والاقتصاد والسياسة ، ليتمكن المفكرون والعلماء والأساتذة المتخصصون في كل بلد من الاطلاع عليها ، لتكوين القناعة بمشتملاتها ، والدفاع عن مضمونها ، وتفنيد الشبهات المثارة ضد الإسلام ، مثل الجهاد أو القتال ومشروعية الطلاق ، وتعدد الزوجات ، وحق المساواة بين الرجل والمرأة ، إذ لكل نظام طبيعة ، ولكل بلد وشعب مألوفٌ يستنكر ما يعارضه . والخلاصة : يجب وضع كتب مبسطة فيها تعريف عام بالإسلام في العقيدة والعبادة والنظم .

٨ـ **تقديم المواد والخدمات والمعونات** : تعاني بعض المجتمعات المتخلفة في إفريقية وآسيا من آفات الجوع والحرمان والفقر والجهل والمرض ونحوها ، ويتهدد كيانَ الفرد والأسرة الخطر والموت أحياناً ، فمثل هؤلاء لابد من تقديم المسلمين ودعاتهم إليهم بعض الحوائج المادية والخدمات المجانية المستمرة ، كالطعام واللباس والعلاج والاستطباب ، إذ لا يعقل ولا يفيد الحديث مع إنسان يشكو من الجوع أو المرض . وقد استفادت الجمعيات التبشيرية والمبشرون بالمسيحية في عصرنا من هذه الزاوية ، حتى بين المسلمين أنفسهم . وما تزال الخدمات التي تقدمها المراكز الإسلامية ورابطة العالم الإسلامي مثلاً ضعيفة وبسيطة جداً إذا قورنت بأمثالها من غير المسلمين .

٩ـ **تكوين الدعاة المبصرين** : **الدعاة** : هم الذين يدعون الناس بأقوالهم وأفعالهم وسلوكهم وحسن سيرتهم إما إلى الدخول في

الإسلام ، وإما لوقف حملات العداء والتضليل والتشويه لمعالم الإسلام وأحكامه وسيرة نبيه ﷺ .

وإن حسن اختيار الدعاة كفيل بتحقيق أفضل النتائج والثمرات الطيبة ، السريعة والدائمة ، ولقد كان رسول الله ﷺ يحسن اختيار الدعاة ، ويرسل كلاً منهم بما يناسب إلى كل بلد بحسب الحاجة ، فقد أرسل مصعب بن عمير المقرئ إلى المدينة ، وكان أول داعية فيها ، وأرسل معاذ بن جبل وعلي بن أبي طالب داعيين إلى اليمن .

وأصبح عمل الداعية في هذا العصر معقداً ، ويحتاج إلى تأهيل عال ، ودورات مكثفة ، وخبرات سليمة ، ومعرفة بلغة القوم ، واستدعى عمله التخطيط والدراسة الموضوعية العلمية ، وفهم طبيعة كل شعب ، وبحث أوضاع الإنسان الاجتماعية والاقتصادية والنفسية .

وإذا تعدد الدعاة كان لابد من التنسيق والتخطيط فيما بينهم ، منعاً من تضارب الجهود ، كما لابد من وجود رئيس يرأسهم منعاً من النزاع والخلاف ، وإهدار الجهود .

نماذج من التاريخ في الدعوة إلى الله تعالى :

ـ إن الحديث الممتع عن قصص الأنبياء في القرآن الكريم ، يعطينا مثلاً ممتازاً للاعتماد عليه في أدب الدعوة ، وخطاب الناس ، والإفادة من المنهج والتخطيط الذي سلكوه ، واستنباط الدروس والعبر والعظات المتعددة ، وقد كتبت هذه القصص بأسلوب علمي وأدبي رائع ، مثل كتاب قصص الأنبياء لجاد المولى ولآخرين ، وللأستاذ عبد الوهاب النجار مع شيء من التحفظ على بعض معلوماته ، وغيره من المعاصرين ، مثل كتابي «القصة القرانية» ، قال تعالىٰ : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف : ١١١] .

ـ كذلك نجد مثلاً طيباً للدعوة الناجحة في سيرة الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب والعلماء والسفراء القدامى والمحدثين ، سواء منهم المجددون كالمجاهد جمال الدين الأفغاني ، والشيخ محمد عبده ، أو الأساتذة والخطباء المعاصرون الذين كان لهم دور ملحوظ في التأثير على عقلية الجيل الحاضر والشباب والفتيات ، وفي البلاد الإسلامية المختلفة ، وهم كثيرون ولله الحمد ، ولا أنسى ما تقوم به فضليات النساء الداعيات في دمشق وغيرها من عمل طيب ومؤثر في بنات جنسهن .

وأذكر هنا مثالين للدعاة :

النبي محمد ﷺ النموذج الأول للدعوة :

ـ استمر الرسول ﷺ يدعو إلى الإسلام سراً ثلاث سنوات ، ثم أمره الله تعالىٰ بإظهار دينه كما تقدم ، قائلاً له : ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر : ٩٤] .

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

[الشعراء : ٢١٤ـ٢١٥] .

﴿ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الحجر : ٨٩] .

فخرج رسول الله ﷺ وصعد على جبل الصفا ، ونادى بأعلى صوته : « يا صباحاه » وكانت هذه صيحة معروفة عند الإحساس بالخطر الذي يهدد البلد أو القبيلة ، فاجتمعت قريش بزعمائها إليه ، فقال رسول الله ﷺ : يا بني عبد المطلب ، يا بني فِهر ، يا بني كعب! أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم ، صدقتموني؟ » .

فقالوا جميعاً ، وقد لقبوه وعرفوه فيما بينهم بالصادق الأمين : نعم ،

ما جربنا عليك كذباً ، إنك إذا قلت ذلك صدقناك .

فقال رسول الله ﷺ : « فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » وهذا كان تعريفاً بالنبوة ، وبياناً لما انفرد به من علم الحقائق الغيبية .

فسكت القوم ، ولكن أبا لهب قال : تباً لك سائر اليوم ، أما دعوتنا لغير هذا؟ فنزل قوله تعالىٰ : ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾[1] [المسد : ١ـ٥] .

جعفر بن أبي طالب في مجلس النجاشي نموذج آخر :

ـ حينما اشتد إيذاء المشركين لمن آمن بالنبي ﷺ ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فإن لها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه . فخرجت جماعة من المسلمين إلى أرض الحبشة ، فكانت أول هجرة في الإسلام ، أمَّروا عليهم عثمان بن مظعون . ثم خرج جعفر بن أبي طالب وآخرون حتى بلغوا ثلاثة وثمانين رجلاً .

ـ فتعقبتهم قريش ، وبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص ، مع هدايا للنجاشي وبطارقته ، فلما قدما على النجاشي قالا :

إنه لجأ إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، وجاؤوا بدين مبتدع ، لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد

---

(١) تفسير ابن كثير : ١/ ٤٥٥ وما بعدها ، البداية والنهاية لابن كثير : ٣/ ٣٨ ، سيرة ابن هشام : ١/ ٢٦٤ وما بعدها ، السيرة النبوية للعلامة أبي الحسن الندوي : ص١٠٦ ، روائع من آداب الدعوة للندوي : ص١٠٣ـ١٠٩ .

بعثنا إليك أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم ، فهم أبصر بهم ، وأقرب إليهم .

ـ فقالت البطارقة (القادة) : صدَقا أيها الملك ، فأسلمهم إليهما . فغضب النجاشي ، وأبى تسليم من لجأ إلى بلاده ، وأرسل إلى المسلمين يطلبهم ، ودعا الأساقفة (علماء النصارى) وقال للمسلمين : ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم؟ ولم تدخلوا في ديني ودين أحد من هذه الملل؟

ـ فقام جعفر بن أبي طالب ابن عم الرسول ﷺ وقال له :

« أيها الملك ، كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ـ وعدَّد أمور الإسلام ـ فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرَّم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان ، من عبادة الله تعالىٰ ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث » .

« فلما قهرونا وظلمونا ، وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ،

ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك » .

فقال النجاشي : هل معك مما جاء به صاحبكم عن الله من شيء؟

قال جعفر : نعم ، قال النجاشي : فاقرأه علي . فقرأ جعفر صدراً من سورة مريم ، فبكى النجاشي ، حتى اخضلَّت (ابتلت) لحيته ، وبكى أساقفته حتى أخضلوا[1] مصاحفهم .

فقال النجاشي : إن هذا ، والذي جاء به عيسى ، يخرج من مشكاة واحدة ، ثم أقبل على رسولي قريش ، فقال : انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكم[2] .

ثالثاً ـ أهداف التبصير بالإسلام وغاياته :

للتبصير أو للدعوة أهداف أو غايات أو دوافع عالية ، أهمها ما يأتي :

الأول ـ أداء الأمانة وإقامة الحجة وإنقاذ الأمة :

إن الدعوة أمانة وواجب في أعناق الدعاة كما عرفنا ، حمَّلهم الله إياها ، وهم مسؤولون عنها بين يديه سبحانه وتعالىٰ . وفي أداء الأمانة إقامة للحجة على الناس ، حتى لا يعتذر أحد بعدم بلوغ الدعوة إليه ، لذا قال تعالىٰ : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء : ١٦٥] . والدعاة حين يؤدون الأمانة ويقيمون الحجة على الناس ، يقدمون الخير لأمتهم ، وينقذونهم من الضلال ، ويأخذون بأيديهم إلى النجاة والفلاح ، ويبعدونهم عن الدمار والخراب ، حتى لا يتعرضوا لسخط الله تعالىٰ ، وليكونوا من الفائزين المفلحين في الدنيا والآخرة .

---

(١) خضَّل وأخضل الشيء : ندَّاه وبلّه .

(٢) سيرة ابن هشام : ١/ ٣٣٤ وما بعدها ، السيرة النبوية للندوي : ص١١٥ـ١١٨ .

الثاني ـ تصحيح العقيدة والوصول إلى الإيمان الصحيح :

إن الغاية الأساسية للدعاة تصحيح عقائد الناس والأخذ بيدهم إلى الدخول في الإسلام ، وإعلان الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره . والإسلام : تفويض الأمر لله ، وتسليمه إليه ، والاستسلام لعظمته ، وإخلاص الدين له من الشرك والرياء ، وإظهار الطاعة والعبادة لله وحده لا شريك له ، وإذا آمن الإنسان بربه الذي خلقه وسوَّاه في أحسن تقويم ، وسلَّم أمره إليه ، سمت نفسه ، وارتفعت معنوياته ، وتحررت إنسانيته من كل عبودية وذل لغير الله ، وتوصل إلى نوع من « الحياة الإنسانية المتقدمة » القائمة على إدراك كمال السعادة والطمأنينة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ١١٢] .

ـ لذا وجب على الداعية أن يحرص على هداية غيره إلى هذا الدين القويم ، والمنهج المستقيم ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الإسراء : ٩ـ١٠] .

وقال عز وجل : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة : ١٥ـ١٦] .

ـ وحدد الرسول ﷺ الغاية السامية لكل داع إلى الله ، فقال لعلي رضي الله عنه يوم خيبر : « فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمْر النعم »[1] أي كرائم الأموال من الإبل .

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم (فتح الباري : ٦/١٠٩ ، العيني على البخاري : ١٤/٢٥٨ .

وأوصى الرسول ﷺ معاذ بن جبل وصحبه حينما أرسلهم ، دعاة وقضاة ومعلمين إلى اليمن ، فقال : « لا تقاتلوهم حتى تدْعوهم ، فإن أبوا فلا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم ، فإن بدؤوكم ، فلا تقاتلوهم حتى يقتلوا منكم قتيلاً ، ثم أروهم ذلك ، وقولوا لهم : هل إلى خير من هذا السبيل؟ فلأن يهدي الله على يديك رجلاً واحداً خير مما طلعت عليه الشمس وغربت »[1] .

الثالث ـ الرد على الشبهات :

الشبهات : كل ما يثار نحو الإسلام ومبادئه وأحكامه من شك وارتياب ، وسوء فهم ، وتفسير مذموم ، وتشويه للحقائق ، وتهم باطلة ، وخروج عن مألوف بعض الناس .

وهذا ما يروِّج له بعض المستشرقين عادة في كتاباتهم عن الإسلام ، وتردِّده بعض الصحف والمجلات ، ويدرس في بعض الكتب الدراسية .

وعلى الداعي أن يكون منتبهاً لمثل هذه الشُّبَه ، مستعداً علمياً وتاريخياً ونفسياً لتفنيدها وإظهار زيفها وبطلانها ، لأن الدعاية السيئة تؤدي إلى حجب الحقائق ، وتقويض جهود الداعي ، وحرمان السامعين من كلامه وبيانه للحكمة أو السبب والعلاج .

وشأنه في ذلك شأن الطبيب الحاذق ، والحكيم الماهر الذي لا يغضب ، ويعالج المشكلة بأناة وحكمة ، ويرد على الاستفسار والسؤال بحزم وجدية وثقة ، حتى وإن أسيء إليه شخصياً .

---

(١) أخرجه مسلم والبيهقي وغيرهما (شرح مسلم : ٧/ ٢٣٢ ، سنن البيهقي : ٩/ ١٠٧ ، نيل الأوطار : ٧/ ٢٣٢) .

فإذا لم يُسأل الداعي عن شبهة ابتعد عنها ، حتى لا يتعلق الغافلون والمبطلون بها ، ويتخذونها ذريعة للتهكم والاستهزاء والافتراء .

الرابع ـ إيقاف الحملات المعادية :

ـ على المراكز الإسلامية وجماعة الدعاة أن يتعاونوا في إصدار البيانات ، وتقديم الاحتجاجات ، ورفع البرقيات لإيقاف بعض الحملات التبشيرية المسعورة ، والدعايات المغرضة ، وتزييف ما جاء على لسان بعض رجال الدين الآخرين من اتهامات رخيصة للإسلام وتصريحات مغلوطة ، يدفع إليها الحقد والتعصب الديني الدفين ، والتقاليد الموروثة ، والشائعات الكاذبة . كذلك لابد من متابعة المشكلات المثارة ، ورفع ما قد يوجد في بعض الكتب التعليمية من معلومات غير صحيحة عن القرآن والنبي والإسلام ، لأنه إذا ترك المجال لاسترسال أصحاب الحقد والعداوة في أكاذيبهم ، ولم يوقف سيل الدعاية المفتراة ، فإن كل جهد إيجابي بالدعوة إلى الإسلام يتبدد أو يضيع سدى إزاء تلك المواقف السلبية الحاقدة .

والطعن بالإسلام وإن كان نادراً إلا أنه يحدث ، كما سمعنا قريباً في الإذاعات في فترات متقاربة في أمريكا الجنوبية وكندا وجنوب إفريقية .

رابعاً ـ آفاق الدعوة الإسلامية :

ـ التبصير بالإسلام لغير المسلمين أو الدعوة إليه له مجالان : داخلي وخارجي .

أما الداخلي : فهو في داخل العالم الإسلامي حيث يوجد أناس في كثير من البلاد بنسبة تتراوح بين ٥ و ١٠٪ يدينون بغير الإسلام ، وهؤلاء أحوج وأقرب إلى الإسلام من غيرهم ، لأنهم عايشوا المسلمين ، وعرفوا شيئاً عن الإسلام وأخلاقه وآدابه وعقيدته ونظمه ، ومصيرهم مشترك مع

المسلمين ، ويمكن الاعتماد في نشر الإسلام بينهم على الكتب المدرسية وغيرها ، ووسائل الإعلام المختلفة ، والنشاط الفردي والجماعي ، وفي أثناء التعامل ، وفي مجال التشريع والقضاء ، وربما تكون القدوة الحسنة من سلوك المسلمين أكثر تأثيراً وفاعلية ، وأحسن بيئة للتعريف بالإسلام بين هؤلاء المواطنين التابعين لدولة واحدة ، ولكن دون إزعاج ولا إكراه ولا مضايقة ، وإنما بروح طيبة من التسامح واللين والرفق .

ـ **وأما الخارجي** : فهو خارج نطاق العالم الإسلامي ، حيث تكثر الأديان والملل والنحل ، وتظهر العلمانية والمادية والوثنية ، وقد كان للتجار ونشاطهم الفردي فضل كبير في نشر الإسلام في جنوب شرقي آسيا كأندونيسيا وماليزيا وجزر المالديف والفلبين وإستراليا . وكذا في القارة الإفريقية حيث كان للطرق الصوفية تأثير ملحوظ في انتشار الإسلام في كثير من البلاد ، ولم تظهر الجمعيات المنظمة في تاريخ الدعوة الإسلامية إلا في عهد قريب نسبياً ، حينما عمد بعض المسلمين إلى تأليف جمعية في القسطنطينية لنشر الدعوة الإسلامية . ولعل أحسن ما كتب عن انتشار الإسلام في العالم بالطرق السلمية هو أرنولد في كتابه « الدعوة إلى الإسلام » .

ثم وجدت المراكز الإسلامية الحديثة في بعض العواصم الأوربية والأمريكية ، وأرسل الأزهر وغيره عدداً من البعثات للدعوة إلى الإسلام في أمريكا وإفريقية وأندونيسيا وغيرها ، وشيدت مساجد في أوربة وأمريكا على حساب الجاليات الإسلامية أو على حساب بعض الدول الخليجية ، مثل الكويت والسعودية وأحياناً ليبيا .

والخلاصة : يجب أن تكون الدعوة إلى الإسلام عامة شاملة في الداخل والخارج ، تحقيقاً لعالمية الإسلام ، وكونه رحمة للعالمين وكون النبي الرحمة المهداة للعالم .

المطلب الثالث

ضوابط التبصير بالإسلام أو قواعده

للتبصير بالإسلام ضوابط وقواعد كثيرة ، منها الثابت ومنها المتغير ، وكلها من مصدر واحد هو القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة الصحابة والتابعين والفقهاء . ويمكن بيان أهمها فيما يأتي :

١ـ اتباع المنهج القرآني ومنهج الأنبياء وطريق العلماء :

إن أسلم الطرق وأسدها وأصحها في الدعوة إلى الإسلام هو سلوك الطريق أو المنهج الذي نزل به القرآن في هداية العالم ، سواء من الناحية الفكرية أو التجريبية الحسية ، وهو منهج الرسل الكرام أنفسهم ، وسبيل الصحابة والتابعين والعلماء من بعدهم ، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل : ٨٩] .

ويتحدد هذا المنهج في الدعوة إلى تصحيح العقيدة بإثبات التوحيد ، ثم النقاش والجدل والتوضيح ، ثم بيان التكاليف الشرعية .

ـ **أما تصحيح الاعتقاد** : فهو المحور الأساسي للدعوة الإسلامية ، لذا ظل القرآن المجيد في العهد المكي طوال ثلاث عشرة سنة يدعو الناس إلى التوحيد النقي وعبادة الله وطاعته ، وإثبات الوحي والرسالة النبوية ، والإيمان بالبعث والحساب والجزاء في عالم الآخرة وغير ذلك من الإيمان بالغيبيات ، والتزام مكارم الأخلاق ، وفضائل الأعمال . وذلك عن

طريق لفت الأنظار إلى آيات الله تعالىٰ وعظمته في الكون من خلق السموات والأرض وما فيهما من إنسان وحيوان ، والتأكيد على صدق النبي ﷺ في دعوته وتأييده بالمعجزات العلمية والحسية ، وأولها معجزة القرآن الكريم من طريق تحدي العرب والإنس والجن من أجل الإتيان بمثل أقصر سورة منه ، ثم ضرب الأمثال الحسية لإثبات المعقول وإقامة الدليل والبرهان القاطع على قدرة الله من إنزال الماء من السماء ، وإحياء الأرض بالنبات ، للتوصل إلى إثبات القدرة على البعث وإعادة الناس أحياء مرة أخرى ، كما خلقهم الله أول مرة ، والقرآن مليء بالشواهد على هذا في دعوات الرسل عليهم السلام ، مثل نوح وإبراهيم ويوسف وهود وصالح وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام .

ـ والأخلاق تلازم العقيدة ، لذا كانت عناية القرآن في مكة بتصحيح الأخلاق والدعوة إلى مكارم الفضائل والآداب العالية مثل العناية بالعقيدة .

قال النبي ﷺ : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »[1] .

ـ ثم يأتي عادة دور النقاش والجدل الذي يشتد أحياناً ويفتر أحياناً بين الأنبياء وأقوامهم ، فيحرص كل نبي على إقناع مجادليه ، وتقريب الأمور لأذهانهم بالأمثال والشواهد الملموسة ، فيؤمن بعضهم ويصر الأكثرون على الكفر ، والتزام موقف الطغيان والعناد ، وحينما يضيق القوم ذرعاً بنبيهم ، وتسقط حججهم أمام قوة إقناع النبي بما يريد ، يلجؤون عادة إلى التهديد والتعذيب . وهذا معروف في قصص الأنبياء بدءاً من نوح

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وهو صحيح ، وروى الطبراني في الأوسط عن أنس : « مكارم الأخلاق من أعمال الجنة » .

فإبراهيم ثم هود ، وصالح ، وشعيب ، وموسى ، وعيسى ، وغيرهم إلى محمد عليهم الصلاة والسلام . وتكون النتيجة إهلاك الله القوم بسبب تكذيبهم وكفرهم ونجاة الرسول أو النبي ومن آمن معه .

أما المؤمنون فيتعهدهم النبي عادة بعد تمكن العقيدة في قلوبهم ببيان الأحكام الشرعية والأنظمة التشريعية من عبادات ومعاملات وحلال وحرام من المطعومات والملبوسات والمشارب وغيرها ، لذا تأخر التشريع القرآني إلى العهد المدني الذي امتد عشر سنوات .

وإذا كانت الرسالات السماوية تختلف أحياناً في أحكام التشريع ، فإنها تتفق في أصول العقيدة والأخلاق ، لأن الرسل إخوة ، مهمتهم واحدة ، ومصدرهم واحد ، وغايتهم واحدة ، وهي الدعوة إلى توحيد الله وعبادته وتصحيح الأخلاق والعادات ، قال الله تعالىٰ : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ [الشورى : ١٣] .

٢ـ التركيز على مبادئ الإسلام الكبرى :

على الداعية أن يبتدئ بالكليات والعموميات ومبادئ الإسلام الأساسية بعد العناية بالعقيدة والأخلاق ، مثل بيان خصائص التشريع الإسلامي الثلاث :

وهي التدرج في التشريع ، وقلة التكاليف ، ودفع الحرج أو مبدأ السهولة واليسر والسماحة في الأحكام وبيان مدى مرونة الشريعة وسعتها وبساطتها وصلاحيتها للتطبيق في كل عصر وزمان أو وضوحها ، وأنه لا تعقيد في شيء من أصول الإيمان ، فهي خالية من تعقيد التثليث وشبهة الثنوية وشطحات الفلاسفة : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وأن

الإسلام يقر ويعترف بالنبوات ويحترم كل الأنبياء : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

ـ وتوضيح آفاق احترام الإنسانية وتكريم الإنسان في الإسلام ، والمساواة بين الأمم والشعوب وضرورة التعاون والإخاء فيما بينهم : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء : ٧٠] . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣] . ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾ [المائدة : ٢] . وفي هذا هدم لمبدأ العصبية والعرق والأجناس : « لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى »[1] . لذا كانت رسالة الإسلام مفتوحة ، غير مغلقة كاليهودية ، ويقبل عليها الناس من مختلف الجنسيات والأعراق والألوان .

ـ والمفاخرة بمبدأ المسؤولية الشخصية أو الفردية : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الإسراء : ١٥] . والإشادة بمبدأ وسطية الإسلام ، وتوازنه وتوفيقه بين مطالب الجسد والروح : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] أي عدولاً خياراً . وتقرير قيام الإسلام في أنظمته الدستورية والدولية والقضائية على أصول الحرية والعدالة والمساواة والشورى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٩٠] . ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى : ٣٨] . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لواليه على مصر عمرو بن العاص : « متى تعبدتم الناس ، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » .

وإعلان ميثاق حقوق الإنسان : « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم

---

(١) من خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع .

عليكم حرام »[1] وغير ذلك من نظام الإسلام الإصلاحي في العقيدة والاجتماع والسياسة والاقتصاد وأصول التعامل .

٣ـ الدعوة على بصيرة وعلم :

إن الدعوة الناجحة لاسيما في عصرنا هي التي تعتمد على المسلمات العقلية والفكرية ، والبصيرة والعلم ، فالعقل والعلم يلازمان مفاهيم الإسلام ، وعليهما قام صرح الدعوة إليه ، وهذا واضح من نصوص القرآن الكريم وسيرة النبي المصطفى ﷺ الذي علمه ربه وأدبه ، ففاق عباقرة العلماء بالرغم من سبق أميته ، قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨] . وقال سبحانه : ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١١٣] . والبصيرة : هي المعرفة والحجة الواضحة التي تميز الحق من الباطل . والعلم هنا : مجموع المعارف والثقافة الدينية العامة ، واستيعاب أصول العقيدة والأحكام الشرعية وأدلتها ومراميها وأبعادها .

ـ وهذه القاعدة تتطلب تكوين الداعي تكويناً علمياً عالياً ، بحيث يفهم الإسلام وروحه ومبادئه وأهدافه فهماً سليماً ، ويكون له اطلاع على ثقافة العصر والعلوم الحديثة ، والتاريخ الإسلامي وتاريخ البلد الذي يدعو فيه إلى الله تعالىٰ ليدرك ما حوله والبيئة التي يعيش فيها .

ـ كما تتطلب القاعدة معرفة لغة القوم الذين يخاطبهم الداعي ، إذ يتعذر عليه الإفهام ، والنقاش والجدل ، ومتابعة مهام التبليغ من دون

---

(١) المصدر السابق ، رواه مسلم عن أبي بكرة ، والترمذي عن عمرو بن الأحوص .

معرفة اللغة ، ومن تعلم لغة قوم أمن مكرهم أو شرهم ، كما هو شائع بين المسلمين [١] .

قال الله تعالىٰ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم : ٤] . وجعل الله تعالىٰ وظيفة الرسل الكرام التبليغ الواضح ، ولا يتحقق المراد من غير توافر القدرة على الفهم والإفهام ، ووسيلتها اللغة .

٤ـ اتباع الحكمة والموعظة الحسنة :

على الداعي أن يتبع أسلوب الحكمة لأنه المؤثر في السامعين ، والمؤدي للغرض المنشود ، قال الله تعالىٰ : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥] . وقال سبحانه : ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٦] . وقال عز وجل : ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة : ٨٣] . والحكمة : معرفة أسرار التشريع ، وإدراك مبانيها ومعانيها والنظر ببصيرة واعية للمخاطبين ، واستعمال الأنسب المفيد لهم . والموعظة الحسنة : هي الكلمة الطيبة التي تخرج من القلب واللسان ، فتصل إلى العقل والفؤاد ، فيتأثر السامع بصدقها وما تهدف إليه من خير وإسعاد ، فقال تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم : ٢٤ـ٢٥] .

قال رسول الله ﷺ : « خاطبوا الناس على قدر عقولهم ، أتحبون أن يُكذَّب الله ورسوله » [٢] .

---

(١) لم أجد تخريجه .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

٥ـ الرفق في الدعوة :

يتأثر الإنسان غالباً بلين الكلام ولطفه ، وينفر من الغلظة والقسوة والاستعلاء ، فعلى الداعي أن يأخذ الناس بالرفق ما أمكنه ذلك ، حتى يحقق الهدف الذي يرجوه ، وهو استجابة المخاطبين لدعوته ومبادرتهم إلى تغيير معتقداتهم الذي ليس بالأمر السهل عادة ، قال الله تعالىٰ مبيناً منهج الدعوة لرسوله الكريم : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وقال النبي ﷺ : « إن الله تعالىٰ رفيق يحب الرفق في الأمر كله »[١] . وقال أيضاً : « إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على سواه »[٢] . وقال أيضاً : « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه »[٣] .

وفي القرآن الكريم كثير من الآيات التي تشير إلى التلطف بالقول من الأنبياء وغيرهم ، حكى الله تعالىٰ عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾ [مريم : ٤٢] . وحكى تعالىٰ عن هود عليه السلام : ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف : ٦٥] . وقال تعالىٰ لموسى وهارون عليهما السلام : ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه : ٤٣ـ٤٤] . وفي قصة أصحاب الكهف قالوا لأحدهم حينما

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها .
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها .
(٣) أخرجه مسلم عن عائشة كالحديث المتقدم .

أرسلوه بعد يقظتهم لجلب الطعام : ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ١٩] .

ـ وتقتضي هذه الدعوة أمرين آخرين هما التمهل في الكلام والنقاش والبيان ، والبعد عن التكلف في النطق والتعاظم ، فقد وصف النبي بما قال الراوي :

« إن النبي ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه »[١] . وقال ﷺ : « هلك المتنطعون ، قالها ثلاثاً »[٢] . أي : المتكلفون في الكلام ، المتشددون المتعمقون فيه ، وقال أيضاً : « إن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون »[٣] . أي المكثرون الكلام تكلفاً ، والمتطاولون على الناس بكلامهم ، والمتوسعون في الكلام تكبراً وتفاخراً على غيرهم .

وقال الله تعالىٰ :

﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص : ٨٦] .

٦ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

إن مهمة الداعي الإصلاحية الكبرى لا تقتصر على إصلاح العقيدة والأخلاق والتوصل إلى الإيمان ، وإنما تشمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . والمعروف : كل ما أمر به الشرع وأقره العقل والعرف الصحيح . والمنكر : كل ما قبحه الشرع ونهى عنه ، واستقبحه العقل

---

(١) رواه البخاري في صحيحه .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه .

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة ، وأخرجه البزار عن ابن مسعود وهو صحيح .

والعرف الصحيح ، وهذا المبدأ يشمل كل الفضائل والرذائل ، وقد اتفقت الأمة الإسلامية كلها على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من أحدهم[١] . لقول الله تعالىٰ : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٤] .

وقوله سبحانه : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] . وقوله عز وجل : ﴿ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ١١٢] . والآيات كثيرة في هذا الشأن .

وضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عشرة وهي ما يأتي :

أولاً ـ العلم بالمعروف المدعو إليه وبالمنكر المنهي عنه : للآية المتقدمة : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف : ١٠٨] . وقال بعض السلف الصالح : « لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيهاً فيما يأمر به ، فقيهاً فيما ينهى عنه » .

ثانياً ـ مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ورد في السنة النبوية تعيين هذه المراتب ، فقال ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان »[٢] . واختلف العلماء في كيفيته بين المسلمين ، فقال أكثر أهل السنة ، والشيعة الإمامية : إن الغرض من ذلك إنما هو بالقلب فقط ، وباللسان إن قدر على ذلك ، ولا يكون باليد ولا بسل السيوف ، اقتداء

---

(١) الفِصَل في الملل والنحل لابن حزم : ٤/ ١٧١ ، ط دار المعرفة ببيروت .

(٢) أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وهو صحيح .

بعثمان رضي الله عنه ، وذلك كله ما لم يكن الإمام فاسقاً ، فإن كان الإمام عدلاً ، وقام عليه فاسق ، وجب عندهم بلا خلاف سل السيوف .

وذهبت طوائف من أهل السنة وجميع المعتزلة ، وجميع الخوارج ، والزيدية إلى أن سل السيوف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب إذا لم يمكن دفع المنكر إلا به .

واحتج أهل السنة ومن وافقهم بقوله تعالىٰ : ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة : ٢٧ـ٢٩] . القصة ، وقال : ﴿ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ ﴾ وبأحاديث ثابتة منها ما تقدم تخريجه : « أنقاتلهم يا رسول الله؟ قال : لا ، إلا أن تروا كفراً بَوَاحاً عندكم فيه من الله برهان » . وفي بعضها : « فإن خشيت أن يبهرك شعاع الشمس فألقِ ثوبك على وجهك ، وفي بعضها : « كن عبد الله المقتول ، ولا تكن عبد الله القاتل »[1] .

ثالثاً ـ الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما تقدم في القاعدة السابقة .

رابعاً ـ لا طاعة لمخلوق في معصية الله : إنما الطاعة في المعروف[2] .

خامساً ـ من قتل دون ماله فهو شهيد . ومن قتل دون دمه فهو شهيد .

---

(١) الفِصَل بين الملل والنحل ، المصدر السابق : ٤/ ١٧١ـ١٧٢ ، والمحلى .

(٢) هذا نص حديث ، أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن علي وهو صحيح .

ومن قتل دون دينه فهو شهيد . ومن قتل دون أهله فهو شهيد[١] .

سادساً ـ لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليعمنكم الله بعذاب من عنده . وفي لفظ : أو ليسلطن الله عليكم شراركم ، فيدعو خياركم ، فلا يستجاب لهم[٢] .

سابعاً ـ « إن الله لا يقدس أمة لا يأخذ الضعيف حقه من القوي وهو غير متعتَع »[٣] . أي من غير أذى يصيبه .

ثامناً ـ رعاية المصلحة والمفسدة : أي إن الداعي يقدر ما يترتب على قوله أو فعله من مصلحة أو مفسدة ، فإن كانت المصلحة أعظم من المفسدة التي تحصل في أمره ونهيه ، وجب عليه الأمر والنهي ، وإن كان العكس ، أي إن المفسدة أعظم ، لم يجب عليه ، بل قد يحرم[٤] . لقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة : ١٩٥] .

تاسعاً ـ التوقف عند اختلاط المعروف بالمنكر : إذا اشتبه الأمر على الداعي ، ولم يتميز المعروف من المنكر ، توقف حتى يتبين له الأمر ، فلا يفعل شيئاً إلا بعلم وبصيرة .

عاشراً ـ التبليغ بحسب الإمكان : التبليغ أو التبصير بحسب القدرة والإمكان إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، فليس مطلوباً أن يصل الأمر والنهي إلى كل إنسان في العالم ، وإنما أن يتمكن المكلف من العلم ،

---

(١) حديث أيضاً أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان عن سعيد بن زيد ، وهو حديث حسن .

(٢) حديث أخرجه البزار والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة ، وهو حسن .

(٣) حديث أخرجه البيهقي في السنن ، وهو صحيح .

(٤) فتاوى ابن تيمية : ١٢٨/٢٨ .

فإذا قصر الناس فلم يسْعوا في تحصيل المطلوب ، فإن التفريط منهم لا من الداعي[١] .

٧ـ الترغيب والترهيب :

إن منهج الدعوة في القرآن الكريم أو سياسة التبليغ تقوم على النصح والإرشاد المتكرر القائم على الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى ، والترغيب : كل ما يحبب الإنسان بالأمر المدعو إليه ، ويدعوه إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات فيه . والترهيب : كل ما يخيف الإنسان وينبهه إلى المخاطر ، ويحذره من الإعراض عن الأمر المدعو إليه . والأول إطماع في ثواب الله تعالىٰ في الآخرة ، أو ظفر بالخير في الدنيا ، والثاني تخويف من غضب الله وسخطه وعذابه في الآخرة ، أو عقابه أحياناً في الدنيا .

والقرآن الكريم مليء بالشواهد على هذا المنهج ، مثل ما حكى القرآن عن نوح عليه السلام : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰٓ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [نوح : ٢ـ٤] . ومثل أمر الله تعالىٰ للنبي ﷺ : ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٨ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التغابن : ٨ـ٩] .

وفي مبدأ دعوة النبي ﷺ قال الرسول لعمه أبي طالب : « يا عم كلمة واحدة تعطونيها ، تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم . فقال أبو

---

(١) المصدر السابق / ٢٨/ ١٢٥ وما بعدها .

جهل : نعم وأبيك وعشر كلمات ، فقال رسول الله ﷺ : « تقولون : لا إله إلاالله ، وتخلعون ما تعبدون من دونه »[١] . وقال ﷺ : « إذا سرتك حسنتك ، وساءتك سيئتك ، فأنت مؤمن »[٢] .

٨ـ التخطيط والمتابعة :

من أهم عوامل النجاح في الحياة وفي الدعوة أيضاً : التخطيط للهدف المراد ، ويأتي دور المتابعة بعد وضع الخطة ، ولقد كانت مناهج الرسل كلها تقوم على دعوة أقوامهم إلى التوحيد وعبادة الله على الخطة الواعية المدروسة الموجهة بالوحي أحياناً ، والمتروكة لفطنة الرسول أحياناً أخرى ، ونلحظ في مسيرة دعوة النبي ﷺ إلى الإسلام منهج هذه الخطة بالانتقال من الدعوة سراً إلى الدعوة جهراً ، إلى اللقاء مع وفود الحجاج ، إلى بيعتي العقبة مع الأنصار لنشر الإسلام في المدينة ، ثم بعث مصعب بن عمير داعية وإماماً ومقرئاً فيها ، ثم الهجرة ، ثم دعوة ملوك وأمراء العالم إلى الإسلام ، ثم تصفية الجزيرة العربية من سخف ومفاسد الشرك والوثنية ، ثم الصدام المسلح مع دولتي الروم والفرس وفتح البلاد التابعة لهم .

ونزول القرآن الكريم تدريجاً منجَّماً (مفرَّقاً) على مدى ثلاث وعشرين سنة لتغطية أحكام الأحداث الناشئة المستجدة : نوع من التخطيط .

ـ وفي العصر الحاضر إذا دخل الداعي بلداً ، عليه دراسة أوضاع القوم ، وكيفية بدء الدعوة وتبليغ الناس بمهمته ، والأهم من ذلك متابعة

---

(١) سيرة ابن هشام : ٢/ ٢٧ .

(٢) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد وابن حبان والطبراني في الكبير والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان والضياء عن أبي أمامة رضي الله عنه .

ردود الفعل ومراقبة أحوال الذين استجابوا للدعوة ، لضمان بقائهم مؤمنين بها ، ومنع المؤثرات المحلية من الأقارب وغيرهم على عقيدتهم ودينهم وعبادتهم . ويعدّ إعطاء المؤلفة قلوبهم (وهم الذين أسلموا حديثاً) سهماً من الزكاة نوعاً ملحوظاً من المتابعة ، لتقوية الإيمان في قلوبهم ، وتثبيتهم على الإسلام .

وكذلك تزكية النفوس ورياضة القلوب والترقي بالنفس نحو القيم العليا ما هو إلا وليد المتابعة . قال تعالىٰ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس : ٩-١٠] . أي أفلح من نمى عناصر الخير في نفسه ، وخسر من أهمل نفسه ، ولم يحملها على الطاعة والعمل الصالح .

ـ والمتابعة تحتاج لزمن ، فيكون مضي الوقت عنصراً مهماً جداً في إحراز المطلوب وحل المشكلات ، وتفادي بعض الأخطاء ، فلا يتعجل الداعية كسب الثمار والنتائج ، وليكن صابراً ذا نفس طويل في مراقبة حركة التغيير التي يريدها نحو دعوته ورسالته ، وهكذا يصبح عنصر الزمن ضرورياً في الدعوة والتبصير بالإسلام .

٩ـ المعاصرة :

يستحسن الناس عادة كل جديد من المعلومات والأساليب والطرق المتبعة ، وينفرون من القديم ، وربما يعتبر بعض مثقفي العصر أن كل قديم لون من التخلف والرجعية ، لذا ترى الناس يقبلون على خطيب الجمعة المتفتح ، ويعرضون عن الخطيب الذي يقرأ في خطبته من ديوان قديم .

وموقف الداعية حساس ، بل وأكثر حساسية من موقف الخطيب الذي يقدم إليه الناس مدفوعين بدافع أداء الفريضة ، أما الداعي فيحتاج إلى

قدرة جذابة في الشخصية والحديث والنقاش والثقافة . لهذا كان على الداعية دراسة أوضاع العصر الذي يعيش فيه ، والتعرف على الأسلوب الذي يستهوي الجمهور ، واختيار الوسائل الناجعة في البيان والخطاب والأمثلة والتشبيهات .

- وربما كان عصرنا الذي تصطرع فيه التيارات والأفكار ، والأنظمة والاتجاهات والمذاهب والنظريات ، من أخطر عصور الدعوة إلى الإسلام ، كما أنه عصر في قمة التقدم العلمي ، ويمتاز بسرعة الاتصال بين أجزاء عالمه ، ويكون لأجهزة الإعلام ، والسفارات ، ورجال الأمن السري (المخابرات) تأثير كبير في الاطلاع على أي نشاط ، وتوجيهه وجهة معينة . وعلى الداعي أن يكون حاد النظر ، بعيد الأفق ، ملاحظاً كل ما يجري حوله ، وكل ما هو قائم في العالم ، فيقرأ الصحف ، ويسمع الإذاعات ، ويقرأ المجلات والدوريات ، ويدرس المذاهب الاقتصادية والسياسية القائمة من رأسمالية واشتراكية وديمقراطية وديكتاتورية وغيرها ، كما يدرس بعض فلسفات الطقوس الدينية والعقائد المنتشرة في بلد الدعوة .

- ومن الأمثلة على عامل المعاصرة : أن النبي ﷺ كان هو الذي اقترح على المسلمين في بداية الدعوة أن يهاجروا إلى الحبشة ، قائلاً لهم كما تقدم : (لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فإن بها ملكاً ، لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه) .

ومثال آخر أن معجزات الأنبياء كانت في الظاهر من جنس الخبرات والمهارات الشائعة في كل عصر ، فكانت معجزة اليد والعصا لموسىٰ عليه السلام ، لأن السحر شائع في وقته ، وكان إبراء المسيح عليه السلام الأكمه والأبرص وإحياء الموتى في عهد تقدم فيه الطب والعلاج . وكانت معجزة القرآن البلاغية والبيانية نظماً ومعنى ، لأن العرب كانوا يتفاخرون بأنهم سادة الفصاحة وفرسان البيان .

١٠ـ البعد عن المثيرات مع الحفاظ على المبدأ :

يتجنب الداعي إلى الإسلام كل ما يؤدي إلى الإثارة والمجابهة العنيفة ، والتصدي والشجار مع ثباته على المبدأ وإصراره على أصول دعوته ، فلا يفعل مثلاً ما يغيظ الدولة أو الحكم ، ويتحاشى توجيه الانتقادات إلى رجالها فيما لا مصلحة له حتى لا يُلجَأ إلى الطرد والإبعاد .

كما لا يبادر إلى مهاجمة أتباع الديانات أو العقائد المستقرة في البلد في بداية الأمر . ولا إلى تخطئة المناقش وتسفيه آرائه لأول وهلة ، وليكن متلطفاً ليناً رفيقاً في الخطاب والكلام والتصويب والتصحيح ، وأذكر مثالين لهذا من منهج القرآن وفي سورة واحدة وبآيتين متواليتين :

الأول ـ لقد دعا الله تعالىٰ المشركين إلى الإيمان بالله بطريق التلطف ، بعد سؤالهم عن خالق السموات والأرض والرزاق ، واعترافهم بأنه الله ، فقال تعالىٰ : ﴿ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ : ٢٤] . فلم يصفهم تعالىٰ بالخطأ والضلال مباشرة كيلا يغضبوا وينفروا ، وإنما قال لهم : إن أحد الفريقين منا : المؤمنين والمشركين لعلى أحد الأمرين : من الهدى أو في الضلال الواضح ، إذ إن المصيب والمحق واحد ، والآخر مخطئ مبطل . وهذا أسلوب فيه لطف وأدب ، لاستدراج الخصم إلى النظر في حاله وحال غيره ، ويستعمله العرب عادة لإعطاء الحرية للمخاطب لكي يتأمل وينظر ، فيدرك خطأه .

المثال الثاني ـ أمر الله رسوله بإفساح المجال لنوع من الهدنة والمشاركة بين المؤمنين والمشركين ، بأن يقول لهم : إنما أقصد بما

أدعوكم إليه الخير لكم ، لا أن ينالني ضرر كفركم ، ولا يسأل أحد الفريقين عما يكتسبه الآخر ، قال تعالىٰ : ﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [سبأ : ٢٥] وهذا مثل قوله الله تعالىٰ : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون : ٦] .

- ولكن المجاملة أو التلطف لا تعني التنازل عن شيء من المبادئ أو المساومة عليها ، فقد حذر الله تعالىٰ رسوله من ذلك ، فقال : ﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص : ٨٧-٨٨] .

تدل هذه الآية على أن من واجب الدعاة ألا يراعوا الخَلق في دعوتهم إلى الخالق ، وألا يتنازلوا عن شيء من مبادئهم ، ولو مؤقتاً ، لأن مراعاة الخلق في الدعوة إليه سبحانه إعراض عنه ، والإعراض عنه سبحانه إبان الدعوة مخل بشروط الدعوة إلى الله ، وبمقام النيابة عن الرسول الأعظم ، ومفقد للتأثير المطلوب ، لأن التأثير يحتاج إلى مدد إلهي دائم ، ومن أعرض عن الله بأية حال ، انقطع عنه المدد ، وهان على الناس وأفقد الثقة في شخصه ودعوته[1] . قال الله تعالىٰ : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ٨٥] .

* * *

(١) الدعوة والدعاة للشيخ العلامة علي سرور الزنكلوني : ص٢٩٣ بتصرف .

المطلب الرابع

آداب التبصير أو الدعوة إلى الإسلام

ـ للتبصير بالإسلام أو الدعوة إليه آداب كثيرة تعتبر عوامل مهمة في إنجاح مهمة الداعي والظفر بمطلوبه ، لأن محورها الخلق الحسن ، والخلق الحسن ذو تأثير فعال في الناس ، لذا وصف الله نبيه به بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] . وقال ﷺ : « خياركم أحاسنكم أخلاقاً »[1] .

وأهم هذه الآداب ما يأتي :

١ـ الإيمان بالدعوة :

إن إيمان الداعية بالله وبدعوته إيماناً خالصاً عميقاً يجعله متفاعلاً معها ، منسجماً مع مقتضياتها ، مؤثراً كلامه في السامعين ، لأن ظاهره وباطنه سواء ، فتراه لا تفتر عزيمته عن العمل ، ويحب أن يرى أثر جهده واضحاً ، ويفضل أن تكون أعمال البر والخير والسمعة الحسنة : هي التي تملأ سجله وصحيفته ، فهو لا يقوم بنشاطه بصفة موظف يقضي ساعات معينة في دائرة الوظيفة دون إنتاج ، ولا محترف يتخذ عمله وسيلة للعيش ، وسبباً للشهرة الدنيوية .

إنما الداعية بحق هو الذي يخصص كل جهوده في المهمة الملقاة على

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

عاتقه ، ويكون إيمانه بربه ، وإخلاصه في مرضاته هو الدافع المحرك له لكل نشاط ، فيحبه الله والناس ويحب الله ، كما قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [المائدة : ٥٤] .

- وهذه القوة الإيمانية الكبرى هي التي جعلت مئات الصحابة يستعذبون الموت من أجل دين الله تعالىٰ كعمرو بن الحِمام في بدر ، ويصبرون على تعذيب قريش لهم ، مثل آل عمار بن ياسر ، وصهيب ، وبلال ، وخبيب بن عدي ، قال ﷺ : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يقذف في النار »[1] .

٢ـ الدعوة جهاد :

الدعوة إلى الإسلام في عرف فقهائنا القدامى نوعان : دعوة باللسان ودعوة بالسنان ، أي إن البيان والنقاش والجدال المحمود هو الأساس في نشر الإسلام ، والدعوة نوع من الجهاد ، فإذا اعتدي على الدعاة ، كان الجهاد بالسلاح درعاً واقياً من العدوان ، وسبيلاً لحماية الدعاة إلى الله تعالىٰ ، وقد رغّب القرآن في الجهاد في آيات كثيرة ، منها : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة : ٢٤] .

---

(١) أخرجه أحمد والشيخان : البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه وهو صحيح .

وقال النبي ﷺ : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم »[١] .

٣ـ القدوة الحسنة :

إن الداعية هو الترجمان الصادق لدعوته ، فالناس يلاحظون أفعاله ، فإن كانت مطابقة لأقواله ، وكان مثلاً طيباً في الخلق والالتزام بالمبدأ ، أصغوا لكلامه ، وتأثروا بنصحه وإرشاده . أما إن وجدوا التناقض بين القول والعمل ، ودعا الناس إلى شيء وخالفه ، فإنه يسقط من أعينهم ، ويعرضون عنه ويكذبونه . لذا كان أنبياء الله الكرام مثلاً أعلى في الإيمان بالله ، والعبادة وطاعة ربهم ، والتخلق بغرر الخصال ، والتحلي بفضائل الأخلاق ، ليقتدي بهم الناس ، وقد أكد القرآن الكريم على هذا المنهج ، ودعا إليه علماء التربية قديماً وحديثاً ، فقال تعالىٰ : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] . وأنكر القرآن الكريم أشد الإنكار على أناس لم يقرنوا القول بالعمل ، فقال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف : ٢ـ٣] . وقال شعيب عليه السلام كما حكى القرآن عنه : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴾ [هود : ٨٨] .

ـ **والخلاصة** : إن القدوة الحسنة تتطلب أمرين هما : حسن الخلق ، والانسجام بين القول والعمل . ولقد انتشر الإسلام في بلاد كثيرة بالسيرة الحسنة والمعاملة الطيبة من المسلمين لغيرهم كما تقدم . وتلك هي دعوة

---

(١) أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، وهو صحيح .

عملية للإسلام ، قال ابن القيم : ولهذا لما رأى النصارىٰ الصحابة ، وما هم عليه ، آمن أكثرهم اختياراً وطوعاً ، وقالوا : ما الذين صحبوا المسيح بأفضل من هؤلاء .

٤ـ الاستقامة :

تتميم لمعنى القدوة الحسنة وهي تطبيق أحكام الشريعة والتزام حدود الله دون حيَدَة عن شيء منها . وهي ليست بالأمر السهل ، لأن الدوام على طاعة الله ، واجتناب المعصية والمخالفة لأوامره ، يحتاج إلى عزيمة قوية ، ومراقبة صارمة لله عز وجل في السر والعلن ، وملاحظة الإنسان سلوك نفسه ، فكثيراً ما يلهو الإنسان أو ينسى ، وينزلق ويتأثر بالبيئة وأوضاع الناس ، ولا ينجو من أعمالهم القبيحة إلا إذا كان إيمانه بالله قوياً ، وكانت شخصيته قوية أيضاً . لهذا قال النبي ﷺ : « شيبتني هود وأخواتها » قيل : ما شيبك منها؟ قال : قوله تعالىٰ : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ [هود : ١١٢][1] .

وقد أمره الله تعالىٰ بالاستقامة أيضاً في آية أخرى : ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ ﴾ [الشورى : ١٥] .

ـ وبما أن الاستقامة دليل الصدق في القول والعمل ، كان جزاء المستقيمين الأمن والجنة ، فقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت : ٣٠] . وكانت الوصية الجامعة من النبي ﷺ للرجل الذي سأله بقوله : قل لي في الإسلام قولاً ، لا أسأل عنه أحداً غيرك ، فقال : « قل : آمنت بالله ثم استقم »[2] .

---

(١) أخرجه ابن عساكر عن جعفر بن محمد (تفسير الآلوسي ١٢/ ١٥٢) .

(٢) أخرجه مسلم عن أبي عمرو سفيان بن عبد الله رضي الله عنه ، وهو صحيح .

٥ـ التضحية والإيثار والإخلاص :

يتطلب عمل الداعية التضحية والإيثار والإخلاص ، لأن تغيير منهج الأشخاص وتبديل العقيدة ليس أمراً يسيراً ، فيضحي بشيء من ماله ، وبوقته ، وبالغض عن إساءة المسيء إليه في نفسه وبدنه وكرامته ، قال الله تعالىٰ للأنبياء وتابعيهم من المسلمين : ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾

[آل عمران : ١٨٦] .

ـ والتضحية تتطلب أيضاً الإيثار وحب الآخرين وتحقيق النفع لهم وتقديم مصلحتهم على المصالح الشخصية ، وهذا نوع من التسامي بالنفس ، ودليل على محبة الظفر برضوان الله عز وجل ، قال الله تعالىٰ مادحاً الأنصار الذين بذلوا المال والديار والأهل عن طريق الزواج للمهاجرين : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] .

ـ والتضحية تستلزم أيضاً الإخلاص في القول والعمل ، وهو لب العبادة ، وأصل الإيمان ، وأساس النجاح ، فلا يستقبل الله قولاً أو عملاً إلا إذا كان خالصاً له ، غير مشوب بشائبة الشرك والرياء ، ولا يقبل الناس عادة نصح أحد ما لم يكن نابعاً من إخلاص القلب ، وتجرد من حب المنافع الدنيوية ، وقد تواردت الآيات الكثيرة في بيان هذه الفضيلة لكل مؤمن ، فقال الله تعالىٰ : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ ﴾ [الزمر : ٣] . وقال سبحانه : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة : ٥] . وقال

النبي ﷺ : « إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً ، وابتُغي به وجهه »(١) .

وقد تكرر تنبيه الأنبياء لأقوامهم على أنهم ينشدون في دعوتهم إلى التوحيد والحق والخير إرضاء الله الذي هو غاية الإخلاص ، فقال نوح عليه السلام :

﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [هود : ٢٩] .

وقال هود عليه السلام : ﴿ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِى ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [هود : ٥١] .

قال الرسول ﷺ : ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴾ [ص : ٨٦ـ٨٨] .

٦ـ الصبر على الأذى :

إن المحن والبلايا والمصائب من طبيعة هذا العالم ، ويزداد التعرض للبلاء والمشاق كلما اغترب الإنسان عن بلده ، وكان عمله شاقاً ومعقداً ، وهذا ما يتعرض له الدعاة إلى الله في كل عصر وزمان ولدى كل أمة وجيل ، وما على أصحاب الرسالات السماوية وأتباعهم الدعاة إلى الله بالحق إلا أن يوطنوا أنفسهم على الصبر على الأذى ، وتحمل ما يلقونه من عنَت ومشقة ، وتعذيب واستهزاء ، وطرد وإجلاء ، فبالصبر تتحقق الغايات ، وتلين العزائم من المعارضين .

ـ لهذا أمر الله تعالىٰ أنبياءه ومن آمنوا بهم بالصبر والمصابرة ، فقال الله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] . وقال سبحانه آمراً نبيه

(١) أخرجه النسائي عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه ، وهو صحيح .

المصطفىٰ ﷺ : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [الأحقاف : ٣٥] . ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الكهف : ٢٨] .

ومن وصايا لقمان الحكيم رحمه الله التي حكاها القرآن والتي وجهها للدعاة : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان : ١٧] .

وقال النبي ﷺ : « مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تميله ، ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تستحصد »[1] .

ـ ومن أمثلة الصبر على الدعوة وتعليمنا المنهج وإقامة الحجة على الناس : صبر موسى وأخيه هارون على فرعون وعتوه وكبريائه ، فبالرغم من علم الله تعالىٰ أن فرعون لن يؤمن قال لموسىٰ وأخيه : ﴿ اذْهَبَا أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه : ٤٢ـ٤٦] . وقال سبحانه لموسىٰ :

﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾

[النازعات : ١٧ـ٢٦] .

ـ وللصبر أجر عظيم وثواب كبير ، قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] . وقال ﷺ عن رمضان : « وهو شهر

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وهو صحيح .

الصبر ، والصبر ثوابه الجنة »[١] .

وقال أيضاً : « عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن : إن أصابته سراء شكر ، فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر ، فكان خيراً له »[٢] . وقال ﷺ أيضاً : « الصبر والاحتساب أفضل من عتق الرقاب ، ويدخل الله صاحبهن الجنة بغير حساب »[٣] .

ومن الأمثلة العملية للصبر ، والمشهورة في السيرة النبوية والخالدة عبر الزمن : قول النبي ﷺ لعمه أبي طالب رداً على مساومة قريش له بشيء من المنافع المادية والمعنوية في الدنيا ، لترك دعوته : « يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الأمر ، حتى يظهره الله أو أهلك دونه ، ما تركته »[٤] .

٧ـ الحلم وعدم اليأس :

من أهم خصال الداعي المؤمن إلى الله : الحلم والأناة وضبط النفس ، وعدم اليأس والقنوط ، لأن مهمته شاقة ، وتغيير العقيدة ليس بالأمر الهين اليسير ، فكان لابد من إعطاء الفرصة الكافية للمدعو إلى الإيمان بالله للتأمل والتفكير ، والعزم والتصميم ، ولأن الغضب أو الإثارة يحطم الجهود ويبعثر العمل ، ويشتت الفكر ، فإذا كان الداعية عصبي المزاج ، ويغضب لأول وهلة ، لم يظفر بنتيجة ما ، وسرعان ما ينفر منه الناس ، وكان كما يقول ابن تيمية : « ما يفسد أكثر مما يصلح » .

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ، ثم قال : صح الخبر ، وأخرجه البيهقي وأبو الشيخ ابن حيان في الثواب عن سلمان رضي الله عنه .
(٢) أخرجه أحمد ومسلم عن صهيب ، وهو صحيح .
(٣) أخرجه الطبراني عن الحكيم بن عمير الثمالي ، وهو صحيح .
(٤) سيرة ابن هشام : ١/ ٢٦٥ وما بعدها .

وقد وصف الله تعالىٰ إبراهيم الخليل عليه السلام بصفة الحلم ، فقال : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [هود : ٧٥] . وأمر الله تعالىٰ العبد بعدم اليأس والقنوط ، فقال : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر : ٥٣] . وقال عز وجل حكاية عن قول إبراهيم : ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر : ٥٦] .

وقال النبي ﷺ للأشج بن عبد القيس : « إن فيك لخَلّتين يحبهما الله تعالىٰ : الحلم والأناة »(١) . وكان من دعائه ﷺ : « اللهم أغنني بالعلم وزيني بالحلم ، وأكرمني بالتقوى ، وجمّلني بالصبر »(٢) .

٨ـ العفو والتسامح :

إن كبار الرجال والسادة العظام هم الذين يعفون عن المسيء عند المقدرة ، ويتسامحون مع الآخرين ، ويتحملون المآسي والمظالم والمضار ، فإن القرآن والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي مليء كل منها بالوصايا في هذا الشأن وبالصور الرائعة المشرفة في تاريخ الدعوة الإسلامية . قال الله تعالىٰ واصفاً عباده المؤمنين : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] . وقال عز وجل : ﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٩] . وقال سبحانه : ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ [الرعد : ٢٢] . وأمر الله نبيه بقوله : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] . وهذه المزايا هي أصول الخلق العظيم الذي وصف الله به نبيه ﷺ ، وهي التي عبر عنها الحديث النبوي : « أن تصل من قطعك ،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه .

(٢) أخرجه ابن النجار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وهو صحيح .

وتعفو عمن ظلمك ، وتحسن إلى من أساء عليك »[١] .

ـ ومن أمثلة العفو الواقعية الخالدة أن النبي ﷺ قال لقريش بعد فتح مكة : « ما تَرَون أني فاعل فيكم؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال : لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، اذهبوا فأنتم الطلقاء » وقال معلناً العفو العام : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن »[٢] .

ـ وليس العفو والسماحة والحلم من صفات الضعف ، ولا يراد بها السكوت على الهوان والاحتقار ، وإنما المراد التغاضي سياسة وأحياناً عن الجزاء والعقاب ، وعدم المبالاة بجهل الجاهل وسفه الطائش ، والترفع عن الأرذال ، وعدم رد الفعل على الاعتداء بمثله في أثناء النقاش والجدل بالحسنىٰ ، ومع هذا كله يكون الحفاظ على عزة النفس شعار المؤمن ، لأن المؤمن عزيز كريم ، يأبى الضيم ويرفض الذل . كما أن هذه الخصال تكون عند القدرة على أخذ الحق ودفع الظلم ، أما التفريط بالحق مع غير أهله ، والسكوت عن هضم الحقوق وسلبها مع العدو الغاصب ، فهو الضعف الذي لا يرضى به الإسلام . قال ﷺ : « من عفا عند القدرة ، عفا الله عنه يوم العسرة »[٣] .

وكان النبي ﷺ في مواقف الحسم والحزم صلباً غير متهاون ولا مفرط . فقال متوعداً مهدداً قريشاً : « أتسمعون يا معشر قريش؟ أما والذي نفسي بيده ، لقد جئتكم بالذبح » فأخذت القوم كلمته ، حتى

---

(١) تفسير النسفي عند تفسير سورة القلم في آية : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] .

(٢) زاد المعاد : ١/ ٤٢١ ، سيرة ابن هشام : ٢/ ٤٠٣ ، وفي رواية : « ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن » .

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير عن أبي أمامة رضي الله عنه ، وهو صحيح .

ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر وقع ، حتى إن أشدهم معه موقفاً قبل ذلك ليرفأه بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنه ليقول : « انصرف يا أبا القاسم ، فوالله ما كنت جهولاً »[١] .

٩ـ العفة والزهد عما في أيدي الناس :

على الداعية أن يكون متعففاً يائساً مما في أيدي الناس ، لأنه رجل دعوة سامية ، الأجر والثواب فيها على الله عز وجل ، والهدف منها نبيل وسام بعيد كل البعد عن الأغراض والمنافع الدنيوية ، وهذا يوفر له الاحترام والتقدير في أعين الناس ، ويبعث على الإقدام على قبول دعوته ، دون إشعار أحد بمطمع دنيوي أو بمغنم أو نفع أياً كانت صفته .

وبه يتبين أن العفة والزهد عما في أيدي الناس من أهم أسباب نجاح الدعاة في مهمتهم ، وقد عرفنا سابقاً أن الأنبياء الكرام كانوا يعلنون لأقوامهم أنهم لا يبتغون أجراً على نشر دعوتهم وتبليغ رسالتهم ، تأكيداً على إخلاصهم في ذلك . فقد أمر الله تعالىٰ نبيه ﷺ بأن يعلن : ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [سبأ : ٤٧] . ثم نفى تعالىٰ عن نبيه طلب الأجر على سبيل التوبيخ والإنكار على قريش : ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾ [الطور : ٤٠] . ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [المؤمنون : ٧٢] . وقد بينا سابقاً مدى ترفع النبي ﷺ عن عروض وإغراءات قريش بالمال والجاه والسلطان والحكم ، وقوله لعمه : « يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر . . . ما تركته » .

ـ وفي مقابل هذا الاتجاه نجد ظاهرة الطمع واضحة في كل عمل يقدمه

---

(١) سيرة ابن هشام : ١/ ٢٩٠ .

الناس بعضهم لبعض ، ومثاله : قصة السحرة مع موسىٰ عليه السلام .

قالوا لفرعون : ﴿ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [الشعراء : ٤١ـ٤٢] . وبعد أن آمنوا بموسىٰ جعلوا أنفسهم فداء لعقيدتهم ، بعد تهديد فرعون لهم بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم على جذوع النخل ، وحينئذ أعلنوا : ﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ٥٠ـ٥١] . ﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه : ٧٢ـ٧٣] .

ـ وفي السنة النبوية وصايا كثيرة عن الزهد والتعفف ، منها قوله ﷺ : « ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس »[1] . ومنها ما أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ ، فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم ، حتى إذا نفد ما عنده قال : « ما يكن من عندي من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر » .

١٠ـ التواضع :

إن التواضع (غير التكبر) واللين والرفق من أهم صفات المعلم ، ومن أخص خصال الداعية إلى الله تعالىٰ ، لأنه بالتواضع والتقرب من المتعلم أو المدعو إلى عبادة ربه يحدث التآلف والتقارب ، ويتيسر الأخذ

---

(١) أخرجه ابن ماجه والطبراني والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، وهو صحيح .

والاستيعاب ، ويتحقق النفع والتلقي المثمر الذي يرسخ أثره في العقل والقلب ، ومن تواضع لله رفعه الله ، وقد أمر الله نبيه ﷺ به قائلاً : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٥] . أي : ألن جانبك وتواضع لمن تبعك من المؤمنين بالله ، وأظهر لهم المحبة والكرامة وتجاوز عنهم[١] .

ووصف القرآن المؤمنين بقوله تعالىٰ : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة : ٥٤] . وقوله عز وجل : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

وفي الأحاديث النبوية أحاديث كثيرة في التواضع ونبذ الكبر ، منها قوله ﷺ : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر »[٢] .

١١ـ أداء العبادة ومتابعتها :

إن الدعاة والعلماء هم ورثة الأنبياء ، ولقد كان نبينا ﷺ يكثر العبادة في الليل حتى تتفطر قدماه ، لأن دوام العبادة ، وأداءها في وقتها ، والتفرغ لها ليلاً ونهاراً ، والحفاظ على حضور الجمعة والجماعة وصلاة العيدين ، مما يزيد في قربى العبد من ربه ، والداعية هنا وهناك بأشد الحاجة إلى المدد الرباني والرعاية الإلهية ، والظفر بمحبة الله له ورضوانه عليه ، ليحفظه الله من السوء ، ويعصمه من أذى الناس ، وليكون عمله دليلاً عملياً على صدق قوله ، وقدوة للمؤمنين ، ولأن ترجمان الإيمان في الإسلام هو الأعمال والطاعات ، والتنافس في الخيرات من صفات الأنبياء المرسلين ، ومن أبرز سمات الدعاة إلى الله تعالىٰ .

---

(١) فتح القدير للشوكاني : ٤/ ١٢٠ .

(٢) أخرجه مسلم والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وهو صحيح .

- وليست العبادة مقصورة على أداء الفرائض من الصلوات الخمس كل يوم وصيام رمضان كل سنة ، وأداء الزكاة المفروضة عند اليسر ، ومرور الحول على ادخار النصاب الشرعي[١] . والحج والعمرة عند الاستطاعة البدنية والمالية ، وإنما تشمل النوافل والتطوعات الكثيرة الأخرى سواء في العبادة البدنية أو الصدقات المالية ، فالصلاة صلة بالله ومعراج إلى الله ، والصوم جُنة من النار ، والصدقة تطفىء غضب الرب ، قال الله تعالىٰ : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

وقال النبي ﷺ في الحديث القدسي : « إن الله قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي عليها[٢] ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن ، يكره الموت ، وأنا أكره مساءته »[٣] .

---

(١) النصاب الشرعي : مئة درهم فضة أو عشرون مثقالاً أو ديناراً من الذهب والدرهم ٢,٩٧٥غم ، والمثقال العجمي ٤,٨٠غم ، وقدره بنك فيصل السوداني بـ٤,٤٥ غم.

(٢) هذا مجاز عن الرعاية الإلهية والعون الرباني والمدد الصمداني .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

الخاتمة

ـ نحن في عصر تصطرع فيه الآراء والمذاهب الفكرية والسياسية والاقتصادية والفلسفات والتيارات المتعددة ، العلمانية والمادية الملحدة وغيرها .

وفي جوار ذلك تنتشر في العالم الأديان السماوية من يهودية ونصرانية وإسلام . وغير السماوية من بوذية وبرهمية ووثنية ونحوها .

والعالم يعيش في جو من حمى المادية الطاغية والعنصرية والقومية والنزعات العرقية ، ويعاني من داء الترفع والتكبر والاستعلاء الدولي .

ويكاد يكون هناك ظاهرة من التحزب والتجمع بين الدولتين العظميين ضد الإسلام ، والاستهانة بمقدساته ، وما تزال عقلية الاستعمار الأوربي والأمريكي بشكليه القديم والحديث هي المهيمنة في علاقات الدول الكبرى بالعالم الإسلامي الذي يعاني من أوضاع الضعف السياسي والاقتصادي والعسكري الشيء الكثير ، وربما كان الإعلام والتسلط الصهيوني هو داء الأمم المعاصرة ، وسرطان الأمة الإسلامية والعربية .

ـ وفي هذا الجو المحموم لابد من محاولة إنقاذ وإسهام ، إما بتغيير المناهج والعقائد المضادة والمعارضة لمفهوم رسالة القرآن العظيم ، وإما بوضع المعوقات على الأقل لصد السيل العارم للاتجاه غير الديني ، وإيقاف التيار الجارف المعارض للمفاهيم الإسلامية ، لأننا نحن

المسلمين نشعر بأن علينا واجباً مقدساً نحو العالم يتمثل بالقيام بحركة تصحيح وجهاد ونشر دعوة الله في الأرض ، وإلا كنا آثمين جميعاً .

- والوسيلة لذلك إما جهود فردية أو جماعية أو دولية ، وأداة الجهد الفردي : هي نشاط كل مسلم ، حيثما كان في العالم ، فعليه واجب التبليغ والتبصير والدعوة إلى الله تعالىٰ ، والجهد الجماعي يتجلى في ضرورة التكتل عن طريق الجمعيات والمؤسسات والأوقاف الإسلامية لبعث وفود الدعاة إلى أنحاء العالم .

والواجب الأكبر والأهم هو واجب كل دولة إسلامية بقدر إمكاناتها أن تساهم في إرسال البعوث والدعاة إلى الله إلى بلاد الدنيا ، لأن الدولة أقدر على هذا العمل من الفرد قطعاً ، فقد فرضت الدولة هيمنتها في العصر الحديث على كل نشاط فردي وجماعي في الداخل والخارج ، وعليها طبعاً وبداهة تكوين الدعاة على المستوى المطلوب ، على النحو الذي ذكرت ضوابطه وآدابه وأصّلت له أصوله ، وأبنت مصدره وغايته .

- وأخيراً لا ننسى الدور المهم الحيوي الذي يمكن أن تقوم به المرأة المسلمة زوجة الداعية والأخت المسلمة والبنت المسلمة في الدعوة إلى ربها داخل الدولة وخارجها بين بنات جنسها النساء وبين الأسر ، فلها تأثيرها الذي لا ينكر .

- ولابد من وجود دورات تدريبية متكررة للدعاة ، وإيجاد معاهد دعوة في كل دولة ، وإقامة مراكز ثقافية إسلامية في أنحاء العالم ، ودعم رسالة المساجد أينما كانت ، وتوفير الدولة الدعم المادي والمعنوي والثقافي للدعاة ، حتى لايكونوا ضحية المكر والخداع والتعصب والأحقاد ، ثم الطرد والإبعاد . ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب : ٤] . ولعل أفضل ما ينبغي التذكير به في ختام البحث هو

قول الله تبارك وتعالىٰ : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٢] .

* * *